المقتطف

الجزء السابع من السنة العشرين

١ يوليو (تموز) سنة ١٨٩٦ الموافق ٢٠ محرم سنة ١٣١٤

واقعة فركة وسواردة

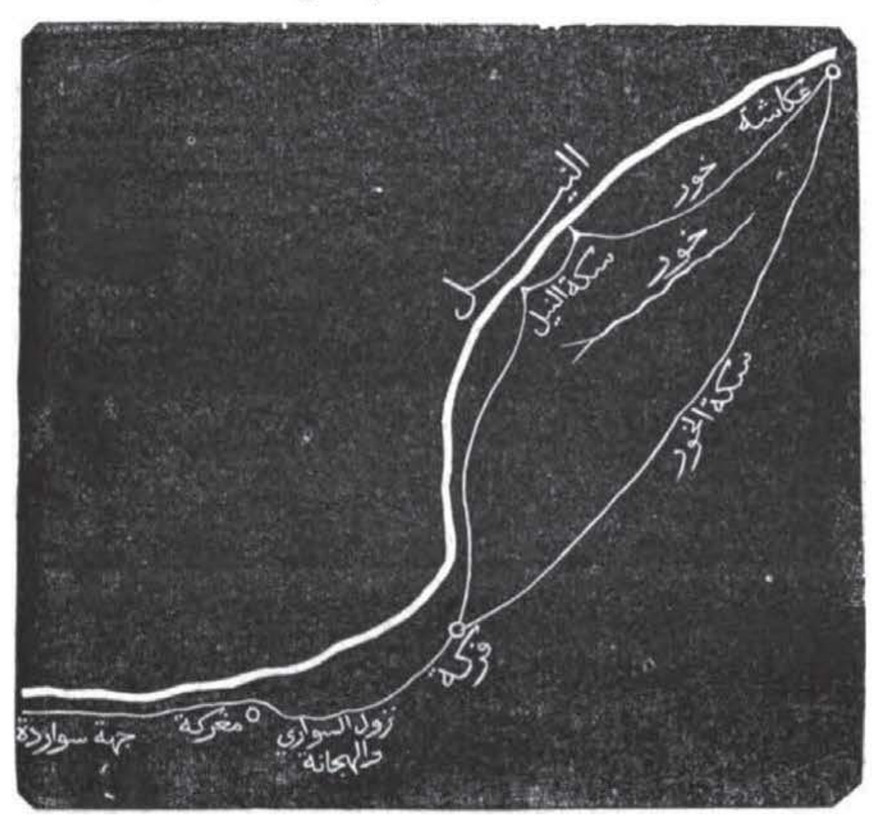
الحرب عَلَى ما فيها من القسوة الوحشيَّة وما يتبعها من الخراب والدمار كانت ولم تزل من اقوى اسباب العمران وانجع الوسائل لنزع الشرور والمظالم . ولا يفلُّ الحديدَ الاَّ الحديد ولقد احسن من قال

وانى لآبي الشرَّ حتى اذا ابى يجنّبُ بيتي قلت للشرّ مرحبا
وأركب ظهر الامر حتى يلين لي اذا لم اجد الاَّ عَلَى الشرّ مركبا

وهٰذا شأن الحكومة المصريَّة مع المهدي وخليفتهِ فانهما ركبا متن الغواية وخربا بلاداً ابتاعتها الديار المصرية بدماء ابنائها وأَبيا الاَّ مناصبتها الشر ومهاجمة تخومها عاماً بعد عام فرأَت الصبر عليهما عجزاً والتأني تفريطاً فأقرَّت في الثالث عشر من شهر مارس (اذار) الماضي على فتح السودان وتخليصهِ من ظلم الخليفة ورجالهِ . وما من احد يطالع الفصول التي لخصناها من كتاب سلاتين عمَّا آلت اليهِ حالة تلك البلاد في عهد المهدي وخليفتهِ الاَّ ويمدح الحكومة المصرية على ما عزمت عليهِ ويدعو لها بالنصر القريب

ولقد اجمع العارفون باحوال السودان ان سوس الفساد قد نخرهُ والحمس الديني الذي كان اقوى حامل لاهلهِ على الانضواء الى لواء المهدوية قد تقلَّص ظلهُ الآن اذ رأى السودانيون من المهدي وخليفتهِ ورجالهم ذئاباً اطالس في ثياب الحملان . ولكن لم يخطر على بال احد ان ابطال الدراويش الذين شهدت لهم وقائعهم الكثيرة بالبسالة والصبر في مواقع القتال تبيد منهم المئات والالوف قبل ان يقتل من الجنود المصرية بضعة عشر رجلاً كما حدث في واقعة فركة الاخيرة

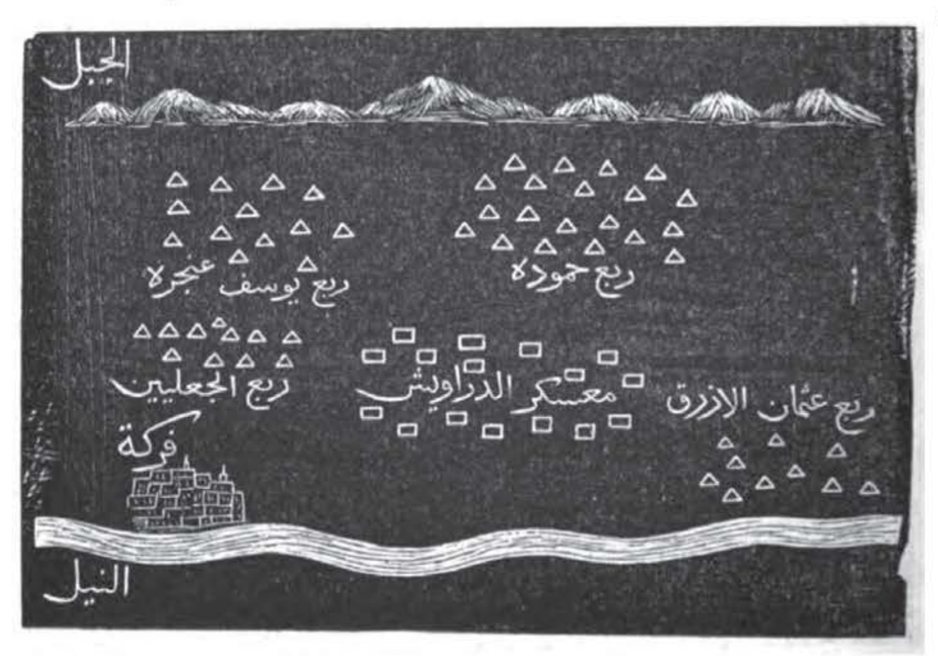
وقد رأينا ان نثبت في المقتطف تفصيل هذه الواقعة تاريخًا لبسالة الجنود المصرية ومهارة قوادها في فنون الحرب لان اعظم نصر ما يؤْتاهُ الجيش باقل ما يكون من اراقة الدماء. واعتمدنا في الوصف على ما كتب بهِ الينا مكاتبنا المرافق الحملة وما جاء في تلغرافات روتر الخصوصيَّة . قال المكاتب : وصلت الى عكاشة فرأَيت الجيش يتأَهب للقيام منها ولكن لم يكن احد يعلم الغرض المقصود لان السردار كتم ما عزم عليهِ شأن القائد الحازم. وقد سعيت كثيرًا لاعرف الخطة ألَّتي تسير فيها الجنود او الوقت الذي تسير فيهِ فلم يجدِ سعيي نفعًا وكنت كلما سأَلت رجلاً من الذين يعوَّل عليهم يجيبني اننا على تمام الاستعداد للسير



متى أُمرنا بهِ ولكنني لا اعلم إلَى اين مسيرنا. اما كبار القواد فكانوا يعلمون كل شيء وكانت ادارة المخابرات عالمة بحركات الدراويش وسكناتهم ومكان كل امير من امرائهم ورسمت خريطة في حلفا وزعتها عليهم فاغنتهم عن الدليل . وفي الرابع والخامس من الشهر (يونيو) اجتمعت قوَّة الجيش المصري بين عكاشة وعكمة . وصباح اليوم السادس وصل السردار واركان حربهِ إلَى عكاشة وفي الساعة الثالثة بعد الظهر اخذت الالوية تجتمع في خور عكاشة المؤَدي الى فركة ثم تقدَّم السردار واستعرض الجيش وسار في مقدمتهِ وتبعتهُ

الجنود على هذا الترتيب اللواء الاول يتلوهُ بطرية طوبجيَّة ثم اللواء الثاني يتلوهُ بطرية طوبجيَّة ايضاً ثم اللواء الثالث. فسرنا في الخور كما يرى في الشكل الاول قاصدين فركة مقرّ جيوش الدراويش ولم يرافق جيشنا غير البغال المحملة الميرة (الجبخانة) وكان كل عسكري يحمل ١٥٠ طلقاً من الجبخانة وما يكفيهِ يومين من البقساط واعدَّت قافلة تحمل الطعام من عكاشة في صبيحة اليوم التالي

ويسار من عكاشة الى فركة في طريقين احداها في الخور وطولها ١٥ ميلاً والاخرى على شاطىء النيل وطولها ١٨ ميلاً فاختار السردار سكة النيل وكان قد امر السواري والهجانة ان تقوم من عكاشة في المساء وتسير في سكة الخور وتنزل بين فركة ومفركة



وتقطع خط الرجعة على الدراويش وسارت الجنود الساعة ٢/١ ٣ بعد الظهر في الخور فوصلت منهُ الى النيل بعد مسير ساعتين واستراحت هناك هنيهة وشرب الجنود وملأوا زمازمهم وعادوا الى المسير ولما غابت الشمس صاروا يمشون الهوينا حتى وصلوا الى بلدة تبعد نحو ستة اميال عن فركة فباتوا هناك الى الساعة ٢/١ ٣ بعد نصف الليل ثم سروا ليلاً فوصلوا الى فركة الساعة الرابعة والدقيقة ٤٥ من صباح اليوم السابع من الشهر وكأن الناظر اليهم ينشد قول الرضى

وركب سرى والليل ملقٍ رواقهُ   على كل مغبرّ المطالع قاتمِ
حدوا عزماتٍ ضاعت الارض بينها   فصار سراهم في صدور العزائمِ

تريهم نجوم الليل ما يبتغونهُ على عاتق الشعرى وهام النعائم ِ
وغطى على الارض الدجى فكاننا نفتش عن اعلامها بالمناسم ِ

ولم يكن الدراويش يعلمون ان الجنود المصريَّة زاحفة عليهم فسارت طليعة السواري لاستطلاع امرهم حتى صارت عَلَى مقربة من معسكرهم فرأتهم دوريَّة الدراويش فاطلقت الرصاص عليهم . فلما سمع السردار صوت الرصاص شكَّل القوة وتقدَّم مسرعاً وابتدأَت الطوبجيَّة باطلاق المدافع عَلَى معسكر الدراويش فهبوا من رقادهم مذعورين ووقفوا في اماكنهم

وقبل ان ابتدئَ بوصف المعركة اشرح للقراء الكرام كيفيَّة تقسيم معسكر الدراويش ومركز فركة حتى يسهل عليهم تصوُّر القتال بلا وصف كثير فاقول

ان فركة بلدة عَلَى شاطىء النيل فيها كثير من شجر النخل والى الشرق منها جبال تبعد عن النيل مسيرة نصف ساعة (انظر الرسم الثاني) وكان عدد الدراويش المعسكرين فيها اكثر من الفي مقاتل من اشد رجال الخليفة بأساً واثبتهم جناناً اختبروا الحروب ايام المهدي وتعودوا القتال وملاقاة الابطال بقيادة اشهر الامراء الذين يشهد لهم تاريخ السودان بالبسالة والاقدام . وقد وضع الخليفة وامير دنقلة اتكالهما عليهم واتخذاهم حصناً حصيناً لرد جنودنا وتمزيق شمل جيوشنا . وقد قسم الدراويش معسكرهم إلَى اربعة ارباع الربع الاول تحت امرة عثمان الازرق الامير العمومي وفيهِ ٤٠٠ مقاتل من الدناقلة والبقارة . والربع الثاني تحت امرة حمودة البقاري وفيهِ ٨٠٠ مقاتل من البقارة . والربع الثالث تحت امرة ولد الامين ابن عبد الحليم الجعلي وفيهِ ٣٠٠ مقاتل من الجعليين . والربع الرابع تحت امرة يوسف عنجرة التعايشي وفيهِ نحو ٦٠٠ مقاتل من السودانيين والبقارة وجميعهم بالاسلحة الناريَّة

قلت ان عساكرنا تقدمت لمحاربة الدراويش في الساعة الخامسة صباحاً وبيان ذلك ان اللواء الاول تقدَّم من جهة الجبل فقابل ربع يوسف عنجرة وربع حمودة . واللواء الثاني تقدَّم الى جهة معسكر الدراويش وربع الجعليَّة . واللواء الثالث تقدم عن يمينهِ فلما هب الدراويش من رقادهم احتلوا مراكزهم حالاً في جهة الجبل وعلى شاطىء النيل وتفرقت فرسانهم وعددها لا يقل عن ٣٠٠ فارس في جهة الجبل وعلى شاطىء النيل ايضاً . وابتدأَت جنودنا باطلاق المدافع والبنادق وجاوبهم الدراويش فما كنت أرى الأَ نار البارود ولا اسمع الأَ صوت الرصاص وقصف المدافع وجعلت العساكر تتقدم إلَى مراكز الدراويش مسرعة وثبت الدراويش في اماكنهم ثبات الابطال ولكن بدت عليهم علامات الحيرة والاندهال كمن لا يدري ماذا يفعل . وبعد قتال يشيب الاطفال مدة ساعةٍ ونصف خارت عزائمهم وعلموا انهم لا يستطيعون

صبرًا على رصاص يشوي وطعن يصمي فابتدأوا يفرون وهرب بعضهم إلى الجبال و بعضهم الى شاطىء النيل وكانت عساكرنا قد سدّت عليهم ابواب الفرار وقطعت عليهم خط الرجعة من كل جهة . والقى كثيرون منهم انفسهم في النيل ليعبروا إلى الضفة الغربيَّة ولكن عرب الكبابيش الموالين للحكومة كانوا راصدين لهم هناك فاهلكوا بعضًا منهم . وبعد ثلاث ساعات انقطع اطلاق النار واستولت العساكر على معسكر الدراويش كلهِ

وقد كنت اجول في هذه المعركة من مكان الى مكان على قدر ما سمحت بهِ الاحوال لأرى ما يجري مرأى العين . فبينما انا التفت الى اليمين سمعت طنينًا بجانب اذني فالتفت واذا رصاصة وقعت على بعد قيراط عني . وانتقلت ووقفت بجانب بكباشي انكليزي كان راكبًا على حصانهِ فاصابت حصانهُ رصاصة قتلتهُ . غير ان دم الانسان يهيج فيهِ ساعة المعركة فلا يبالي بالرصاص وسقوط القتلى وانين الجرحى ولكن الساعة ألَّتي تفتت الاكباد وترتعد منها الفرائص هي ساعة الدخول الى ساحة الوغى بعد انتهاء القتال ورجوع الانسان الى نفسهِ وسكون جأشهِ وسماعهِ انين المائتين وزفرات الجرحى ورؤيتهِ اشلاء القتلى وبرك النجيع الى غير ذلك من المناظر المكربة ألَّتي يعجز القلم عن وصفها وتعاف النفس تذكر صورتها لشدة ما يعتريها من الالم والانقباض . ولو وصفت للقراء الكرام بعض ما رأيت من هذا القبيل لسالت آماقهم حزنًا وتوجعوا جزعًا . وما راءٍ كمن سمع

اما الذين لم يفروا الى الجبل او الى النيل فتقهقروا جنوبًا وقابلتهم سواريناو هجانتنا بالقرب من معركة فقتلت نحو ٢٥٠ رجلاً منهم من جملتهم الامير مرغني سوار الذهب . وجرح عثمان الازرق في هذهِ الواقعة لكنهُ طرح نفسهُ في النيل وعبر الى الضفة الغربيَّة سباحة . ولقد غنمت عساكرنا في هذهِ الواقعة اكثر من ١٠٠ بندقيَّة من بنادق رمنتون ونحو ١٠٠٠ حربة وسيف وطبولاً كثيرة وجمالاً وخيلاً لا تقل عن مئة واما بقيَّة الخيل فقتل منها ما قتل وجرح ما جرح ولم يعد يصلح لشيءٍ وغنمت ايضًا ٥٠٠ راس من الماشية واكثر من ٢٠٠ حمار وعدة مراكب ووجدت في بيت المال نحو ١٦٠ اردبًا من الذرة واسرت نحو ٢٠٠ رجل و١٣٠ من النساء والاولاد

وبعد ظهر يوم الواقعة بثلاث ساعات سار الامير الآي مردخ بك بالفرسان والهجانة في اثر الدراويش الفارين من معركة فركة وما زال يطاردهم حتى بلغوا سواردة . وقبل وصولهم اليها علم الدراويش فيها بما اصاب قومهم في فركة ففرَّ بعضهم بعيالهم منها وعبروا النيل الى الضفة الغربيَّة ونجوا بانفسهم ومن جملتهم عثمان الازرق فانهُ فرَّ من معركة فركة واتى سواردة

واخذ عائلتهُ منها وعبر بها الى الضفة الغربيَّة في مقدمة الفارّين . فلما وصل مردخ بك اليها اخذها بلا مقاومة لان الرجال الذين بقوا فيها كانوا قلالاً واستحوذ على ما فيها من الميرة والمؤَن

وكتب الينا في الرابع عشر من الشهر يقول " ان الذين دفنوا حتى اليوم من قتلى الدراويش بلغوا الفاً ومئة قتيل عدا الذين غرقوا في النيل والذين جثثهم لا تزال مطروحة في الجبال والاخوار وجرحاهم نحو مئة واسراهم اكثر من مئتين من الرجال عدا النساء والاولاد " . وقتل من الجنود المصريَّة اثنان وعشرون وجرح ستة وثمانون

وقد كان عدد المقاتلة من الدراويش ثلثة آلاف مقاتل منهم الفان واكثر في فركة والباقون في سواردة ومعركة شرقاً وغرباً . وغني عن البيان ان القواد العظام هم الذين يحرزون اعظم النظر باقل خسارة من الرجال ولو راجعنا تفاصيل المعارك التي احرز فيها القواد العظام النصر علَى الاعداء وقدرنا عدد الذين خسروهم فيها من الرجال لعددنا معركة فركة من جملتها وحكمنا ان السردار وسائر قواد جيشهِ فعلوا افعال القواد العظام وفازوا الفوز المبين على نخبة رجال السودان وامرائهم وابطالهم بخسارة لا تكاد تذكر . وقد قاتل الدراويش في هذهِ الموقعة مستقتلين وهان عليهم الموت حتى كانوا يثبتون امام الجنود المصرية وهم يعلمون انهم هالكون لا محالة وبقي نحو ثمانين منهم يقاتلون من منزل واحد وابوا التسليم حتى فنوا عن آخرهم

وعسى ان تكون هذهِ الواقعة خاتمة الوقائع فيجسر اهالي السودان على المجاهرة بمخالفة الخليفة ومناوأتهِ والعود الى حمى الحكومة المصرية فانهُ اذا رأى ذلك منهم انحلَّت عزائمهُ وبادر الى الاتفاق مع الحكومة المصرية على ما تحجب بهِ الدماء وتضمن راحة العباد

تتويج قياصرة الروس

كل نظام ولَّدتهُ الايام ومحَّصتهُ احوال الزمان فهو لازم في محلهِ واجب على الذين ارتبطوا بهِ لا يحسن نزعهُ ولا فكهُ دفعةً واحدةً . ولكن ذلك لا يكفل لهُ الدوام بل لا بد من ان يخضع لتقلبات الايام مثل كل متغير . ومن هٰذا القبيل نظام الدول وقيام الملوك فانهُ عريق في المجتمع الانساني ابتدأ منذ الوف من السنين لا بقوَّة قاهرة فرضتهُ على الناس فرضاً بل نشأ تبعاً لغريزة فطريَّة ونما نموًّا طبيعيًّا . وقد انحلَّت عراهُ الآن من بعض البلدان ولكنهُ لم يزل راسخاً في غيرها . ولا يظهر ان الممالك الَّتي طرحت نير الملوك عن عواتقها اصلح حالاً وارفع شأناً من جاراتها الجارية على خطة السلف . فان كانت المساواة بين الناس امراً

مقدورًا فيكون زمانها بعيدًا عن زماننا وعصرها من العصور التالية ٱلَّتِي لا نراها نحن ولا ابناؤُنا وسيسبقها عصر ولاية الاكفاء عصر يتولى فيهِ سياسة الناس اقدرهم على توليها ملوكًا كانوا او سوقةً . الَّا ان هٰذَا العصر بعيد ايضًا ودون البلوغ اليهِ خرط القتاد

ويظهر لنا من النظر في احوال البشر وسياساتهم بنوع عام واحوال بلاد الروس بنوع خاص ان ما يجري فيها من الاحتفال العظيم بتتويج قياصرتها وما يبدو لعين امرائها المختلفي الشعوب والمذاهب من ابهة الملك وعظمتهِ امر لازم لازب لتعزيز سطوة الدولة فلا تحدثهم نفوسهم بعد ذلك بالخروج عليها

والاحتفال بتتويج القياصرة في بلاد الروس سنة قديمة واول من تتوج من عائلة رومانوف الحاكمة الآن في روسيا القيصر ميخائيل وذلك في ٢٣ يونيو (حزيران) سنة ١٦١٣ وجلس على عرش اجداده الى قياصرة الروس الشاه عباس الشهير. ولما وضع رئيس الاساقفة التاج على رأسهِ والصولجان في يدهِ قال لهُ ايها القيصر الذي توَّجهُ الله ميخائيل الدوق العظيم ابن فيودور المتسلط على كل بلاد الروس خذ هٰذَا الصولجان الذي اعطاكهُ الله لتتسلط بهِ على بلاد الروس العظيمة وتسوسها. ثم وضع في عنقهِ قلادة من الذهب ومسحهُ بالزيت المقدس وجرى القياصرة بعدهُ على خطة واحدة في تتويجهم الى ايام بطرس الاكبر فتُوج مع اخيهِ ايڤان في وقت واحد ثم أبدل لقب القيصر بلقب امبراطور حينما توَّج زوجتهُ كاترينا سنة ١٧٢٤

وكان القياصرة يتوجون بتاج قديم قيل انهُ أُرسل اليهم من القسطنطينيَّة سنة ٩٨٨ للمسيح لكن بطرس الاكبر ابدلهُ بتاج آخر لما توج زوجتهُ ثم صُنع تاج آخر مثلهُ للملكة كاترينا الثانية وتوج بهِ كل القياصرة الذي جاؤُوا بعدها وهو التاج الذي تُوج بهِ القيصر الآن وكان ثقلهُ خمس ليبرات وكان فيهِ ٤٩٣٦ ماسةً ثقلها ٢٩٩٢ قيراطًا و يقدر ثمنهُ بنحو مليوني ريال روسي (ثمانية ملايين فرنك)

وكان رئيس الاساقفة يضع التاج على رأس القيصر لكن الامبراطورة اليصابات وضعت التاج بيدها على رأسها فجرى قياصرة الروس بعدها على ذلك . وكان القياصرة يتوَّجون في مدينة كيف لما كانت اعظم مدن روسيا ثم ضعف شأنها بعد اواسط القرن الثاني عشر وتسلط التتار والمغول على روسيا وادَّى امراؤُها لهم الجزية وجعلوا موسكو عاصمة لمملكتهم لبعدها عن بلاد التتار فصاروا يتوجون فيها. واول من لقب منهم باسم القيصر ايڤان الرابع سنة ١٥٤٧

وقد تُوج القيصر نيقولا الثاني في السادس والعشرين من شهر ماي (ايار) الماضي باحتفال فاق كل احتفال سبقهُ بلغت نفقاتهُ خمسة ملايين من الجنيهات . وقد وصفنا

هٰذَا الاحتفال وصفاً مسهباً في المقطم و يظهر منهُ ان الاحتفال ديني كما هو مدني فقد جاء في الاعلان الذي عين فيهِ يوم التتويج ما ترجمتهُ

" ان ملكنا العظيم الاكرام والاقتدار الرفيع الشان القيصر نقولا بن الاسكندر جلس عَلَى عرش الامبراطورية الروسيَّة ومملكة بولندا وغراندوقيَّة فنلاند وشاء تمثُّلاً باسلافهِ المجيدين ان تقام حفلة التتويج المقدس في ١٤ ماي (حساباً شرقيًّا) بمساعدة الله القادر على كل شيء وامر ان القيصرة الكسندرة فيودورفنا تشترك معهُ في هذه الحفلة المقدسة فليعلم ذلك كل الرعايا الامناء الخاضعين لجلالتهِ وليرفعوا صلواتهم الى الله القادر عَلَى كل شيء لكي يبارك ملك جلالتهِ و ينشر السلام بين الجميع تمجيدًا لاسمهِ المقدس وتأييدًا لخير البلاد ونجاحها "

وكان التتويج في اشهر كنائس موسكو وسبقتهُ وتلتهُ شعائر دينيَّة كثيرة وفي جملتها ان رئيس اساقفة بطرسبرج طلب من القيصر قبل تتويجهِ ان يتلو قانون الكنيسة الارثوذكسيَّة فتلاهُ عَلَى مسمع من الحضور فباركهُ رئيس الاساقفة حينئذٍ واضعاً يديهِ على رأسهِ على شكل صليب ثم ناولهُ التاج القيصري فتناولهُ ووضعهُ على رأسهِ وجلس عَلَى العرش ثم توج القيصرة بيدهِ . وتليت الصلوات بعد ذلك فركع القيصر وتلا صلاة خصوصيَّة بصوت عالٍ ثم نزل عن عرشهِ وسار مع زوجتهِ إلَى المذبح ومُسحا بالزيت وتناولا القربان المقدس ثم زارا بقية الكنائس واتمَّا كثيرًا من الفروض الدينيَّة . ونشر المنشور التالي حينئذٍ وهو

" ليعلم كل رعايانا الامناء اننا بعد ان اتممنا تتويجنا المقدس اليوم بنعمة الله القدير ومُسحنا المسحة المقدسة ركعنا امام عرش ملك الملوك وسألنا عزتهُ بالاتضاع ان يتنازل و يبارك عرشنا لخير بلادنا المحبوبة و يقوينا لكي نبرَّ بقسمنا المقدس و يقدرنا عَلَى اتمام الاعمال ألتي سلمها لنا اسلافنا العظام لتعزيز الامة الروسيَّة وتقوية الايمان الديني والفضائل الصالحة"

ولم تنتهِ حفلة التتويج عَلَى صفاء تام وذلك انهُ صُنعت رزم صغيرة من الطعام والحلوى لتفرَّق عَلَى الجمع المزدحم في سهل خودنسكي خارج موسكو وكان عددهم نحو ٨٠٠ الف نفس من فقراء الروس ورمى الموزعون الرزم بينهم فتهافتوا عليها تهافتاً وداس بعضهم بعضاً فقتل منهم الفان وسبع مئة نفس شرَّ قتلة فتحوَّلت الافراح اتراحاً في بيوت كثيرة . و بلغ القيصر ذلك فامر ان تعطى عائلة كل قتيل اربعة آلاف فرنك . الاَّ ان ذلك لم يُزِل ما اثرتهُ حفلة التتويج في النفوس من استعظام قدر قياصرة الروس واعتمادهم على السلطة الدينيَّة مع السلطة السياسيَّة فعسى ان يكون من هٰذَا الاحتفال اعظم نفع لتلك البلاد ولسائر البلدان

الاعتدال

الخطبة التي تليت في جمعية الاعتدال بالقاهرة في ١٠ ابريل انظر الصفحة ٣٩٠ من الجزء الخامس

لو بحثنا في كتب اللغة الايام والاعوام ما وجدنا كلمة اصلح من كلمة الاعتدال شعارًا لمن يتوخَّى العيش الرغد ونعيم البال. لان الاعتدال رائد الراحة وملاك السعادة وخير دستور يتَّبع في الاقوال والاعمال وما احسن ما قيل

حبُّ التناهي غلط خير الامور الوسط

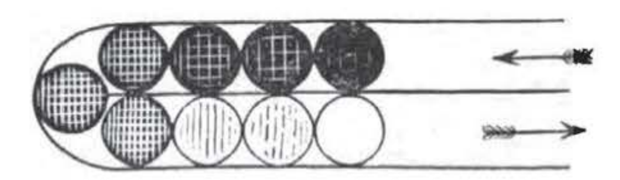
وليس من غرضي ان اتلو على مسامعكم اقوال الشعراء والادباء في مزايا الاعتدال وفوائده لان القول ما لم يقُم عليهِ دليل علمي لا يُقنع طالب الحقيقة ولو قالهُ ارسطو وافلاطون بل ان آتيكم باحكام علميَّة مثبتة بالادلة ومعززة بالشواهد وساقسم الكلام الى الاقسام التالية وهي

الاعتدال في التعب والراحة

الاعتدال في المأكل والمشرب

الاعتدال في الملبس والمسكن

الاعتدال في الاكتساب والانفاق



(١) الاعتدال في التعب والراحة * جسم الانسان مؤَلف من اعضاء كثيرة واكثر هذهِ الاعضاء عضلات بعضها كبير كعضلات الساعدين والساقين وبعضها صغير كعضلات الاصابع. وكل عضلة منها مؤَلفة من الياف دقيقة كخيوط الحرير مضمومة بعضها الى بعض وكل خيط منها بل كل جزء صغير من اجزاء الجسد مؤَلف من دقائق صغيرة جدًّا بعضها حيٌّ وبعضها مستعد للحياة وبعضها انقضت حياتهُ ومات كما ترون في هذا الشكل الرمزي فان الدوائر السوداء كناية عن الدقائق التي تأتي الدم من الغذاء فيسير بها في البدن ويوزعها عليهِ لتغذيتهِ وهي غير حيَّة ولكنها مستعدة للحياة. والدوائر المخططة طولاً وعرضًا كناية عن الدقائق الحيَّة التي حياة الجسم كلهِ من مجموع حياتها وافعالهُ كلها مما فيها من القوة. والدوائر البيضاء كناية عن الدقائق التي انقضت حياتها وماتت وصارت وقرًا على الجسد يطلب التخلص منهُ

هذا الاحتفال وصفاً مسهباً في المقطم و يظهر منهُ ان الاحتفال ديني كما هو مدني فقد جاء في الاعلان الذي عين فيهِ يوم التتويج ما ترجمتهُ

" ان ملكنا العظيم الاكرام والاقتدار الرفيع الشان القيصر نقولا بن الاسكندر جلس عَلَى عرش الامبراطورية الروسية ومملكة بولندا وغراندوقية فنلاند وشاء تمثلاً باسلافهِ المجيدين ان تقام حفلة التتويج المقدس في ١٤ ماي (حساباً شرقياً) بمساعدة الله القادر على كل شيء وامر ان القيصرة الكسندرة فيودورفنا تشترك معهُ في هذه الحفلة المقدسة فليعلم ذلك كل الرعايا الامناء الخاضعين لجلالتهِ وليرفعوا صلواتهم الى الله القادر عَلَى كل شيء لكي يبارك ملك جلالتهِ و ينشر السلام بين الجميع تمجيدًا لاسمهِ المقدس وتأييدًا لخير البلاد ونجاحها"

وكان التتويج في اشهر كنائس موسكو وسبقتهُ وتلتهُ شعائر دينية كثيرة وفي جملتها ان رئيس اساقفة بطرسبرج طلب من القيصر قبل تتويجهِ ان يتلو قانون الكنيسة الارثوذكسية فتلاهُ عَلَى مسمع من الحضور فباركهُ رئيس الاساقفة حينئذٍ واضعاً يديهِ على رأسهِ على شكل صليب ثم ناولهُ التاج القيصري فتناولهُ ووضعهُ على رأسهِ وجلس عَلَى العرش ثم توج القيصرة بيدهِ . وتليت الصلوات بعد ذلك فركع القيصر وتلا صلاة خصوصية بصوت عالٍ ثم نزل عن عرشهِ وسار مع زوجتهِ إلَى المذبح ومُسحا بالزيت وتناولا القربان المقدس ثم زارا بقية الكنائس واتمَّا كثيرًا من الفروض الدينية . ونشر المنشور التالي حينئذٍ وهو

" ليعلم كل رعايانا الامناء اننا بعد ان اتممنا تتويجنا المقدس اليوم بنعمة الله القدير ومُسحنا المسحة المقدسة ركعنا امام عرش ملك الملوك وسألنا عزتهُ بالاتضاع ان يتنازل و يبارك عرشنا لخير بلادنا المحبوبة و يقوينا لكي نبرّ بقسمنا المقدس و يقدّرنا عَلَى اتمام الاعمال ألتي سلمها لنا اسلافنا العظام لتعزيز الامة الروسية وتقوية الايمان الديني والفضائل الصالحة"

ولم تنتهِ حفلة التتويج عَلَى صفاء تام وذلك انهُ صُنعت رزم صغيرة من الطعام والحلوى لتفرّق عَلَى الجمع المزدحم في سهل خودنسكي خارج موسكو وكان عددهم نحو ٨٠٠ الف نفس من فقراء الروس ورمى الموزعون الرزم بينهم فتهافتوا عليها تهافتاً وداس بعضهم بعضاً فقتل منهم الفان وسبع مئة نفس شرّ قتلة فتحوّلت الافراح اتراحاً في بيوت كثيرة . وبلغ القيصر ذلك فامر ان تعطى عائلة كل قتيل اربعة آلاف فرنك . الأ ان ذلك لم يزل ما اثرتهُ حفلة التتويج في النفوس من استعظام قدر قياصرة الروس واعتمادهم على السلطة الدينية مع السلطة السياسية فعسى ان يكون من هذا الاحتفال اعظم نفع لتلك البلاد ولسائر البلدان

الاعتدال

الخطبة التي تليت في جمعية الاعتدال بالقاهرة في ١٠ ابريل انظر الصفحة ٣٩٠ من الجزء الخامس

لو بحثنا في كتب اللغة الايّام والاعوام ما وجدنا كلمة اصلح من كلمة الاعتدال شعاراً لمن يتوخّى العيش الرغد ونعيم البال. لان الاعتدال رائد الراحة وملاك السعادة وخير دستور يتّبع في الاقوال والاعمال وما احسن ما قيل

حبُّ التناهي غلط خير الامور الوسط

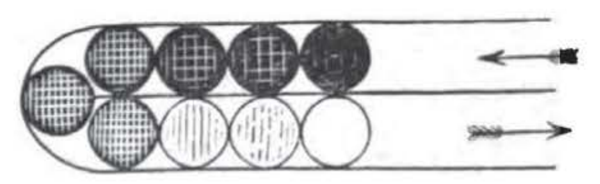
وليس من غرضي ان اتلو على مسامعكم اقوال الشعراء والادباء في مزايا الاعتدال وفوائدهِ لان القول ما لم يقُم عليهِ دليل علمي لا يُقنع طالب الحقيقة ولو قالهُ ارسطو وافلاطون بل ان آتيكم باحكام علميَّة مثبتة بالادلة ومعززة بالشواهد وسأقسم الكلام الى الاقسام التالية وهي

الاعتدال في التعب والراحة

الاعتدال في المأكل والمشرب

الاعتدال في الملبس والمسكن

الاعتدال في الاكتساب والانفاق



(١) الاعتدال في التعب والراحة * جسم الانسان مؤلف من اعضاء كثيرة واكثر هذهِ الاعضاء عضلات بعضها كبير كعضلات الساعدين والساقين وبعضها صغير كعضلات الاصابع. وكل عضلة منها مؤلفة من الياف دقيقة كخيوط الحرير مضمومة بعضها الى بعض وكل خيط منها بل كل جزء صغير من اجزاء الجسد مؤلف من دقائق صغيرة جدًّا بعضها حيٌّ وبعضها مستعد للحياة وبعضها انقضت حياتهُ ومات كما ترون في هذا الشكل الرمزي فان الدوائر السوداء كناية عن الدقائق التي تأتي الدم من الغذاء فيسير بها في البدن ويوزعها عليهِ لتغذيتهِ وهي غير حيَّة ولكنها مستعدة للحياة . والدوائر المخططة طولاً وعرضاً كناية عن الدقائق الحيَّة التي حياة الجسم كلهِ من مجموع حياتها وافعالهُ كلها مما فيها من القوة. والدوائر البيضاء كناية عن الدقائق التي انقضت حياتها وماتت وصارت وقرًا على الجسد يطلب التخلص منهُ

فالدقائق المستعدة للحياة تأتي الجسم من الغذاء وتتوزع فيهِ بواسطة الدم كما تقدَّم وحالما تتصل بالدقائق الحيَّة تنبث فيها الحياة على اسلوب لا نعلمهُ وفي ذلك الوقت عينهِ تكون بعض الدقائق التي سبقتها في الحياة قد قضت عمرها فتموت رويدًا رويدًا وتقوم الدقائق الجديدة مقامها وهلمَّ جرًّا . وكأنَّ كلَّ عضو من اعضائنا شجرة فيها اثمار كثيرة بعضها يكاد ينضج وبعضها نضج وطاب اكلهُ وبعضها تمَّ نضجهُ فذبل وكاد يسقط . او كمدينة كثيرة السكان بعض اهاليها اطفال بدأت فيهم الحياة وبعضهم شبان في ريعان الصبا ومقتبل العمر وبعضهم شيوخ اذوت نضارتهم الايام وكادوا يموتون او ماتوا وهم يُنقلون الى مدافنهم

وهذا الاسلوب جارٍ في كل اعضاء الجسد في النوم واليقظة والصحة والمرض والحركة والسكون ولكن موت الدقائق في الاجسام المتحركة اكثر منهُ في الساكنة لان الحركة تستنزف الحياة من بعض الدقائق فتموت

والدقائق الحيَّة هي مصدر القوة الَّتي نشعر بها وتبدو منا . فاذا عمل عضو من الاعضاء عملاً شاقًّا اضطرَّ ان يستنزف القوة من كثير من دقائقهِ الحيَّة فتكثر فيهِ الدقائق الميتة وتقل الدقائق الحيَّة الَّتي فيها القوَّة فيتعب اي تقلُّ قوتهُ لان الدقائق الحيَّة الَّتي فيها القوَّة تكون قد قلَّت منهُ ولأن الدقائق الميتة الَّتي تكثر فيهِ تتعبهُ بوجودها وتسمهُ سمًّا كما سيجيء فلا بدَّ لهُ من الراحة حينئذٍ لكي يستردَّ قوتهُ اي لا بدَّ لهُ من فرصة ينقطع فيها عن العمل او يقللهُ لكي ترد اليهِ دقائق جديدة فيها قوة جديدة فتعيد اليهِ ما خسرهُ من القوَّة . ولكن اذا لم يكن العمل شاقًّا فالدقائق الجديدة التي ترد الى اعضاء البدن مع الدم توازي الدقائق الَّتي تموت عادة بالعمل المعتدل فيبقى الجسم مستريحًا قادرًا على العمل

ثم ان الدقائق التي تموت وتنحلُّ يتغير تركيبها الكيماوي فتصير سمًّا ناقعًا فتسم الاعضاء التي هي فيها وتؤَثر في الاعصاب التأثير الذي نسميهِ تعبًا فتتوقف تلك الاعضاء عن العمل او تعجز عنهُ الَّا اذا نُبهت الاعصاب بمنبه قوي فانها تعود وتحرك الاعضاء ولو كانت معياة من التعب. ثم اذا انقضت مدة التنبيه حل التعب في الاعضاء وصار اشد مما كان قبلاً كجواد تعب من الجري ثم اعملت في شاكلتهِ المهماز فانهُ يجري شوطًا طويلاً ولكنهُ يقع في آخرهِ ولا يستطيع الجري بعد. وهذا تعليل ما ننسبهُ الى المنبهات من الضرر فانها تنبه الجسم المعيي كأنها تعطيهِ قوة جديدة وهي لم تعطهِ شيئًا وانما حثتهُ على استنزاف بقايا القوة الَّتي فيهِ ككريم تحضهُ على السخاء فيجود بمالهِ كلهِ والحض ليس مالاً ولكنهُ يدعو المرء إلى الجود بالمال ولو استنزافًا

فالتعب العضلي يحدث من موت الدقائق الحيَّة ومن تجمع فضولها السامة في الاعضاء .

والدم يريح الاعضاء من هذا التعب لانهُ ينزح منها فضول الدقائق الميتة و يأتيها بدقائق جديدة مملوءة قوةً فكلما كان غزيرًا نقيًا كان تطهر الاعضاء من الفضول واسترجاعها للقوة النافدة منها اسرع واتمّ. واما اذا كان الدم بطيء الجري مشحونًا بالفضول السامة لم يستطع ان يطهر الاعضاء من هذه الفضول ولا ان يعوضها عمّا فقدتهُ من الدقائق الحيَّة فتتعب حالاً وتتسمم

وامثلة ذلك لا تخفى على احد بعد هذا البيان فاذا اعييتَ من المشي حتى لم تعد قدماك تحملانك ثم جلست واسترحت ساعة من الزمان وقمت تمشي شعرت بقوة جديدة ونشاط جديد. واذا كنت تنشر خشبًا بمنشار وكلَّ ساعدك من الحركة ثم ارحتهُ ربع ساعة عادت اليهِ قوتهُ. هذا وعند علماء الفسيولوجيا دليل على لا يبقي محلاً للريب وهو انهم يحقنون العضو المستريح بشيء مثل فضول العضو المتعَب فيشعر بالتعب حالاً كأنَّ قوتهُ نهكت من مشقة العمل

والدماغ يتعب كما تتعب سائر الاعضاء بل ان اكثر التعب الذي ننسبهُ الى الاعضاء انما مقرُّهُ الدماغ. وسبب تعبهِ انحلال دقائقهِ وتجمُّع الفضول فيهِ. فاذا افرط الانسان في الدرس والبحث العلمي مهما كان نوعهُ رأى قواهُ العقليَّة مطيعة لهُ في اول الامر وسيف عقله ماضيًا ولكن لا يلبث طويلاً حتى تكلَّ قواهُ واحدة بعد اخرى فتعتاص عليهِ المسائل وتخونهُ الذاكرة و يشكل عليهِ ما كان يظنهُ بسيطًا. ثم اذا هو استراح ولو نصف ساعة عاد عقلهُ الى مضائهِ وذهنهُ الى حدتهِ. وكذا اذا تعبت اعضاء الجسد فان تعبها يتصل بالدماغ بواسطة الاعصاب ويؤثر فيهِ فيشعر هو بالتعب ايضًا

وكل افراط في العمل جسديًا كان او عقليًا يتعب الجسد والعقل. ثم اذا توالى العمل ولم تتخللهُ راحة كافية كانت عاقبتهُ وخيمة فيختلُّ الجسم ويختلُّ العقل ويحصد الانسان ثمار افراطهِ اسفًا وندامةً. فالذي يفرط في الجري يقع معيى والذي يفرط في الدرس يكلُّ دماغهُ ولا يعود يفهم والذي يفرط في النظر إلَى لون جميل تشبع عينهُ منهُ فتتعب ولا تعود تميز ذلك اللون والذي يفرط في اكل الحلوى يسأمها وتشمئزُّ منها نفسهُ وسبب ذلك كلهِ تعب الاعضاء والاعصاب من موت دقائقها الحيَّة وكثرة الفضول فيها

ان اعظم تعب تعبناهُ كان في ما نرتاح اليهِ اكثر من كل شيء — في متاحف باريس ولندن حيث قضينا اياما متوالية نشاهد اجمل الصور وابدع التماثيل واثمن الجواهر نخبة ما صنعهُ الناس في كل الامصار والاعصار من اقدم عهد المصريين والاشوريين إلَى الآن ومن اقصى بلاد الهند والصين إلَى اقصى البلاد الاميركيَّة. ففي اليوم الاول والثاني كنَّا نرتشف ما نراهُ ارتشافًا ولم تزل صورتهُ في ذهننا حتى الآن وفي اليوم الثالث والرابع قلَّ

ارتياحنا إِلَى ما كنا نراهُ وفي اليوم الخامس والسادس صرنا نتعب من الرؤْية و يرتد طرفنا عن اجمل المصنوعات كليلاً. واعظم تعب نتعبهُ الآن هو من المطالعة في ألذ المطالب لدينا الاضطرارنا إِلَى الاكثار منها ولو امكننا ان ننقطع عن المطالعة اياماً لعدنا اليها بلهفة شديدة

وفيما تقدم دروس مفيدة لاساتذة المدارس الذين يضنون عقول تلامذتهم حتى يكلّ عضبها و يقلّ مضاؤُها ثم يعودون عَلَى التلميذ باللائمة لانهُ لا يدرس ولا يحفظ وهم الذين كرَّهوا اليهِ الدرس واضعفوا ذهنهُ عن الحفظ بدروسهم الطويلة وشروحهم الكثيرة . وفيهِ ايضاً درس مفيد لربات البيوت ومربيات الاطفال لان الطفل يملّ سريعاً من العمل الواحد فتبدو عَلَى وجههِ امارات السآمة والضجر

هٰذَا من قبيل التعب اما الراحة فلازمة لزوماً لا محيص عنهُ كما تقدم لكنها اذا زادت عمَّا يقتضيهِ الجسم بطوءَ سير الدم فيهِ وبطوءَ التنفس ايضاً فقلّ ورود الدقائق الجديدة إِلَى الاعضاء المختلفة ونزع الدقائق الميتة منها فيتعب الجسم من البطالة كما يتعب من العمل ولذلك تجد الكسلان القليل الحركة يتثاءب ويتمطَّى لكي يحرّك جسمهُ ويجري الدم فيهِ ولسان حالهِ يقول انني متعب من الراحة وشاعر باحتياجي إِلَى العمل . ولا يقف ضرر الراحة عند هٰذَا الحد بل يألفها الجسم رويدًا رويدًا و يرتاح اليها فيقلّ نشاطهُ حتى اذا اضطر بعد ذلك إِلَى عمل جسدي عنيف او شغل عقلي شاق اضناهُ التعب حالاً لان دورتهُ الدموية تكون قد ضعفت عن تقديم الدقائق الجديدة ألَّتِي فيها القوَّة اللازمة ونزع الدقائق الميتة منعاً لانسمام الجسم بها. ولان تنفسهُ لا يعود قادرًا عَلَى تقديم ما يلزم من الاكسجين لاكسدة الدقائق واظهار قوتها . وهٰذَا يشعر بهِ كلّ امرء من نفسهِ اذا انقطع عن العمل الجسدي والشغل العقلي مدة طويلة ثم عاد اليهما فانهُ يشعر بتعب كثير في اول الامر من اقل جهد. وعليهِ فالاعتدال في الراحة لازم كالاعتدال في التعب اي ان الافراط والتفريط مضرَّان عَلَى حدٍ سوى وخير الامور الاعتدال بينهما (١)

وبما يحسن سوقهُ هنا ان الراحة الزائدة قسمة قليلين من الناس وهم ينقطعون اليها طوعاً

---

(١) وقد وجد بالامتحان الفسيولوجي المدقق ان الاعمال التي يعملها الانسان عادةً في يومو تساوي نحو ١٥٠٠٠٠ كيلوغرامتر اي ما يكفي لحمل الكيلوغرام الواحد مسافة ١٥٠٠٠٠ متر والحرارة التي تتولد فيهِ تساوي ٨٥٠ كيلوغرامترًا وجملة القوة التي ينالها من الطعام و ينفقها يوميًا تعادل نحو مليون كيلوغرامتر. ووجد بتنكفر وفويت ان الانسان يستعمل ٩٥٤ كرامًا من الاكسجين في اربع وعشرين ساعة وهو يعمل عملاً و ٧٠٨ غرامات فقط وهو لا يعمل شيئًا

حسب تربيتهم وعوائدهم فاللوم عَلَى الذين يربونهم عليها ثم عليهم اذا عرفوا الضرر ولم يجتنبوهُ .
ولكن التعب الشديد قسمة الفريق الاكبر من نوع الانسان — اخواننا الذين يكدُّون نهارًا وليلاً في طلب الرزق — الالوف والملايين من الرجال والنساء الذين يحرثون الارض ويقطعون الصخور وينقبون الجبال هؤلاء يأكلون خبزهم مغمَّسًا بعرق جبينهم ودم قلوبهم لان الطبيعة بحرّها وبردها وجبالها ووهادها وصخورها ووحولها تقاومهم تتعب اجسامهم وتنهك ابدانهم . واكبر مجير لهم واعظم منعم عليهم رجال العلم الذين استنبطوا الآلات والادوات فاستعان بها العمَّال على الاعمال . قابلوا بين رجل يحمل البضائع عَلَى ظهرهِ وينقلها من مدينة الى اخرى والعرق يتصبب من جبينهِ ويقطر من اردانهِ وبين رجل آخر يجلس في مركبة ويحرّك مفتاح آلتها البخارية او الكهربائيَّة فتسير بالوف من الاحمال سير الطير في السماء . او قابلوا بين مئات من النوتيَّة وقد راشوا المجاذيف كقوادم الطير وجعلوا يقاومون بها الماء وقد توتَّرت عضلاتهم وتصعَّدت زفراتهم وبين نوتي آخر يفتح مصراع البخار لسفينتهِ فتدور آلاتها بهِ وتسير تقطع اليم كسهم يخرق الهواء . او قابلوا بين من يسير من هنا الى بنها مثلاً مشيًا على قدميهِ فينقب حذاؤهُ ويحل جسمهُ من التعب والنصب وبين من يسير اليها بسكة الحديد جالسًا على مقعد وثير لا يراهُ في بيتهِ . وحتى الآن لم تتسهل كل الاعمال على الناس كلهم ولكن رجال الاختراع والاستنباط جارون في هٰذَا المضمار جريًا حثيثًا حتى يستطيع كل احد ان يكتسب ما يقوم بمعيشتهِ باقل تعب . ولهم خصوم من خازني المال ومحتكري الارض ومخترعي اساليب الاسراف ولكن كل هؤلاء ادواء في جسم المجتمع الانساني ولا بدَّ ان يتغلب عليها هٰذَا المجتمع اذا كان الله قد قدَّر لهُ البقاء والنماء كما يتغلب الجسم الصحيح على الادواء

(٢) الاعتدال في المأكل والمشرب * الاكل من لوازم الحياة ولا بدَّ منهُ لكل حيّ لما تقدَّم من ان القوة الجسديَّة والقوة العقليَّة مستمدتان من الطعام . فاذا انقطعنا عنهُ ضعفت اجسامنا وفترت قوانا رويدًا رويدًا الى ان تزول كلها اذ لا يبقى في اجسامنا غير الدقائق الميتة المشار اليها آنفًا او التي كادت تموت . ولا بدَّ من ان يكون الطعام كافيًا اي موازيًا لما ينحلُّ من الجسم ولما يلزم لنموهِ اذا كان لم يزل آخذًا في النمو كاجسام الصغار . فان لم يكن كافيًا للتعويض عن كل الدقائق التي تموت من الجسم اي اذا مات من الجسم مئة درهم مثلاً كل يوم ولم يكن في الغذاء الَّا اربعون درهمًا لتقوم مقامها خسر الجسم ستين درهمًا كل يوم فيضعف رويدًا رويدًا ويعجز عن العمل . عَلَى ان الذين يقللون الطعام لا يقللونهُ بارادتهم

الاَّ نادرًا والغالب انهم يقللونهُ رغمًا عنهم وهؤُلاء كثار في الدنيا اخنى عليهم الدهر بكلكلهِ ورمتهم نوائب الايام بالارزاء(٢). كذا يقال والحقيقة ان ليس للدهر من يد في ذلك ولا لنوائب الايام ذنب وانما اللوم على الانسان فانهُ هو يظلم بعضهُ بعضًا و يميت بعضهُ بعضًا

شرُّ السباع العوادي دونهُ وزرٌ والناس شرهم مادونهُ وزرُ
كم معشرٍ سلموا لم يؤْذهم سبُعٌ وما نرى بشرًا لم يؤْذهِ بشرُ

ومما يخفف عن النفس كربها ان الكرام وان كانوا قليلاً عددهم يزيدون قوةً ومنعةً عامًا بعد عام . وسيرث الودعاء الارض اذا اراد الله ان يبقى نوع الانسان فيها و يزول الطالح من امام الصالح كما تزول العصافة امام الريح والاَّ تفاقمت الشرور وانقرض نوع الانسان

هٰذَا ضرر الاقلال من الطعام اما الاكثار منهُ فقد يُظَن لاول وهلة انهُ غير ضارٍ لان زيادة الخير خير فاذا كان رطل اللحم يغذيني و يقويني فالرطلان يزيدانني غذاء وقوةً . وكان ذلك يصحُّ لو لم تكن معدنا مثل سائر الاعضاء تتعب من عنف العمل وتزيد في بنائها الفضول

---

(٢) وجد بالامتحان العلمي المدقق ان مقدار الطعام الذي يكفي الرجل في اربع وعشرين ساعة يمكن ان يكون مؤلفًا هكذا

مواد لحمية (بروتيد)	١٠٠	غرام
مواد دهنية	١٠٠	"
مواد نشوية	٢٤٠	غرامًا
املاح	٠٢٥	"
ماء	٢٦٠٠	غرام

وهذا الطعام اكتفى به العلاَّمة رنك مدة وكان وزنهُ ٧٤ كيلوغرامًا . واما القوة الناتجة من اكسدة هذا الطعام فكما ترى في هذا الجدول

بروتيد	١٠٠	غرام	ينتج منها	١٨٥٠٠٠	كيلوغرامتر
دهن	١٠٠	"	"	٣٨٤١٠٠	"
نشويات	٢٤٠	غرامًا	"	٣٩٧٦٨٠	"

والجملة ٩٦٦٧٨٠ او نحو مليون كيلوغرامتر . ويمكن ان تقلل المواد اللحمية والدهنية وتزاد المواد النشوية فان ملسون وجد متوسط ما يأكلهُ كثيرون من الرجال في اليوم هكذا

بروتيدات	٣٠	غرامًا
دهن	٨٤	غرامًا
نشويات	٤٠٤	غرامات
املاح	٠٣٠	غرامًا
ماء	٢٨٠٠	غرام

فتسمها ولا لسان لها لينطق ولكنها متصلة بالدماغ بواسطة الاعصاب فيتصل تعبها بهِ فيرثي لشكواها ويئن لبلواها . ومن ابلغ ما قيل في هٰذَا الموضوع فقرة ذكرها المرحوم الدكتور فان ديك في كتابهِ الباثولوجيا قال فيها

" تأخر زيد في عشائهِ ثم اكل كبيبةً وكفتةً وسمكًا وارزًا وجانبًا من التوابل والمخللات وشرب كأسًا من الخمر الصفراء . ثم اكل كنافةً وبقلاوةً وبعض المربيات وشرب كأسًا من الخمر السوداء ثم اكل فاكهةً مختلفة الانواع من موز وتفاح وبرتقال وشرب قنينة من الشمبانيا وطلب النوم بعد حين فركبهُ الكابوس وشاهد الشياطين والابالسة وقام في الصباح قلقًا مغمومًا . التقيتُ بهِ وهو نازل الى مخزنهِ وسألتهُ عن سلامتهِ فقال ان صبرَ عليَّ اصحاب الديون هٰذَا النهار بعتُ املاكي واوفيتُ ما عليَّ واقفلتُ محلي لاني عَلَى حافة الافلاس . وزد عَلَى ذلك اني اخشى عَلَى صحة عائلتي فانا مضطرٌ ان اخرجها الى خارج المدينة سريعًا لئلاَّ يموت احد اولادي : ولما سألتهُ عما اكل البارحة واخبرني سكتُّ وقلتُ في نفسي الكابوس من الكبيبة . والابالسة والشياطين من السمك والتوابل . والافلاس وخراب المحل من الخمور . وفساد صحة العائلة من الفواكه والحلالي. ثم التقيتُ بهِ بعد ما صار لمعدتهِ فرصة لعزل تلك البالوعة ٱلَّتِي ملأَها بها . فوجدتُ المحل ناجحًا لا دَين عليهِ. والنفقات معتدلة . وصحة العائلة جيدة . ولا خوف من الافلاس . ولا من خراب البيت . وقد عدل عن بيع الاملاك وعن الذهاب من المدينة . . . وكم من مشاجرة سببها طعام غير مهضوم وكم من امرئ حملهُ سوء الهضم عَلَى قتل نفسهِ "

وما من احد الاَّ وقد اختبر صدق هٰذَا القول ومن لم ينتبه اليهِ قبلاً فليلتفت الى ما يشعر بهِ من التعب بعد غداء ثقيل عسر الهضم ولا سيما اذا تكرر ذلك حتى يلي بسوء الهضم. والمعدة بيت الداء فتتسلط على صاحبها الأدواء فضلاً عما في الاكثار من الطعام من كثرة النفقة فالحث على الاعتدال في الطعام كالحث على افضل الفضائل وويل للذين آلهتهم بطونهم ولقد قيل ان قتلى الطعام اكثر من قتلى المدام والحق ان يقال انهم اكثر من قتلى الحروب

اما الشراب فان كان الماء القراح فقلما تجد من يخرج فيهِ عن حد الاعتدال في افراط او تفريط ولكن يشترط ان يكون نقيًا والاَّ فقد يكون مجلبةً لكثير من الامراض الوبيلة كالكوليرا والتيفويد. ولا افضل من الماء النقي شرابًا. واذا كان الشراب مسكرًا من المسكرات فعليهِ كلام آخر يجيء بعد

الاعتدال في الملبس والمسكن * الغرض من اللباس الآن التدفئة وستر العرية وقد

كان الغرض منهُ اولاً الزينة لا غير ولم يزل ذلك الغرض منهُ عند اكثر المتوحشين وعند بعض المتمدنين ايضاً فالمتوحشون الذين لا ثياب لهم يكتفون بنظم الخرز والقدد الملونة على ابدانهم ثم يزدانون بريش الاطيار وحلى الاشجار الى ان تبلغ البلاد الباردة فترى اهلها يلتفون بفراء الحيوانات للدفاء ويوشونها بكل ما عندهم من ضروب التحلي حتى لا تخلو من الزينة . فاذا نظرنا الى هذه الاغراض الثلاثة وهي الزينة والتدفئة وستر العرية عرفنا اين يكون الافراط واين يكون التفريط وما هو حد الاعتدال بينهما · اما الزينة فلم يبقَ لها مقياس غير ما تجري عليهِ الجميلات من النساء واهل الوجاهة من الرجال فاذا لبست الجميلات اوراق الاشجار فهي الجميلة الحريَّة بالاتباع واذا لبس اهل الوجاهة جلود القرود فلا مناص لغيرهم من مجاراتهم فيها . ولا جدال في الذوق ولا هو خاضع لقانون علمي . اما التدفئة فليس للذوق حكم فيها وانما الحكم فيها للعلم · وقد اثبت العلم ان الثياب الصوفيَّة افضل من غيرها وهي اللباس الطبيعي الذي البسهُ الخالق للحيوانات · ومن خواص الصوف انهُ يمتص الفضول من البدن ويطرحها في الهواء حتى اذا لبستَ قميص الصوف بضعة ايام وخلعتهُ وعلقتهُ في الهواء زال الوسخ عنهُ من نفسهِ اذا لم يكن كثيراً · وانهُ يقي الجسد من البرد شتاء ومن الحر صيفاً لانهُ لا يوصل الحرارة بسهولة لا من الهواء الى البدن ولا من البدن الى الهواء · وستر العرية كالزينة من جهة وكالتدفئة من اُخرى فترى اناساً لا يستعيبون كشف البدن كلهِ واناساً يستعيبون كشف بعض الاعضاء دون البعض الآخر · فاذا نظرنا الى ستر العرية من هذا القبيل لم نجد للباس حدًّا علميًّا يقف عندهُ واما اذا نظرنا اليهِ من حيث الفائدة فكل اعضاء البدن القليلة الحركة تستفيد من سترها لدفع البرد عنها . واجسام الصغار اكثر تعرُّضاً للبرد من اجسام الكبار لاتساع سطحها بالنسبة الى جرمها فيعود الغرض من ستر العرية الى التدفئة

وثمن اللباس يجب ان يكون مقياساً للاعتدال واليهِ يجب الالتفات قبل كل شيء فان المرء قد يكفيهِ ثوب لا يزيد ثمنهُ عَلَى مئة غرش ويظهر بهِ مماثلاً لاقرانهِ ويستر بهِ بدنهُ ويتقي بهِ الحر والبرد وقد لا يظهر مماثلاً لاقرانهِ ولو لبس حلل الديباج وانفقَ عليها الوف الجنيهات · فاذا كان المرء في سعة من العيش فلا لوم عليهِ اذا انفق من سعتهِ بل ان ترف الاغنياء لازم لكي يشركوا غيرهم في الانتفاع باموالهم والاَّ زادوا غنى عاماً بعد عام فتجتمع عندهم اموال الارض وخيراتها . والترفع انجع دواء لاحتكار المال وحبذا لو كان لهُ دواء آخر ولكن

اذا لم يكن الاَّ الأسنة مركب فلا يسع المضطر الاَّ ركوبها

فان الترف عَلَى ما فيهِ من الضرر الادبي خير من تجمع مال الارض عند الاغنياء · واذا

لم يكن المرء في سعة من العيش (ومن ذلك الفريق الاكبر من الناس) وجب عليهِ ان لا ينفق عَلَى لباسهِ الأعشر دخلهِ عَلَى الاكثر وان يطلب منهُ ما يدفئهُ ويستر عريهُ اولاً ثم ما يظهر بهِ مثل اقرانهِ حتى لا يرى نفسهُ كالغريب بينهم. هٰذَا هو حدُّ الاعتدال وما خرج عنهُ بافراط او تفريط نتيجتهُ التعب بدل الراحة

والمسكن كالملبس الغرضُ الاول منهُ الايواء ثم تفنن الناس فيهِ كثيرًا حتى ان ابن آدم الذي حصتهُ من الارض اشبار ومسكنهُ الابدي لا يزيد عَلَى باع من الارض لا تسعهُ المنازل الرحبة ولا القصور الفخيمة. واعجب من ذلك ان البيوت وجدت لراحة الانسان اواءً لهُ من الحر والبرد فدعاهُ التأنق والترف الى توسيعها وشحنها بالاثاث والرياش حتى صارت وقرًا ثقيلاً عليهِ. هٰذَا من جهة الافراط لكن الذين يلامون عليهِ قليلون في جنب الذين يلامون عَلَى تفريطهم ولا سيما في هٰذَا القطر حيث يكتفي الفلاحون باكواخ صغيرة من الطوب تظنها قفران النحل او قرى النمل. ولا ادري كيف يعيش الناس في تلك الاكواخ الحرجة ولا كيف يستنشقون فيها الهواء النقي ولا ما يمنعهم من توسيعها والبناء كلهُ من "الطوب الاخضر" وهو يكاد يكون بلا ثمن. وهٰذَا الامر ليس من الامور الطفيفة ٱلَّتِي يجوز الاغضاء عنها لان الفلاحين هم الفريق المنتج فاذا فسدت صحتهم وساءت احوالهم ساءت احوال البلاد كلها فيجب ان يعلَّموا ويدرَّبوا على توسيع بيوتهم وتنظيفها وابعاد بعضها عن بعض حتى يجري الهواء النقي بينها. وخير المبرات ان تبنى البيوت الصحيَّة للفقراء وتعطى لهم باجرة بخسة وقد جرى المحسنون في انكلترا واميركا على هذه الخطة فافادوا المساكين اعظم فائدة ونالوا الاجر والثواب

الاعتدال في الاكتساب والانفاق * لم تزل الارض واسعة بسكانها وكل رجل يستطيع ان يكتسب في يومهِ ما يقوم بمعيشتهِ ومعيشة اربعة معهُ حتى اذا كان لهُ زوجة وثلاثة اولاد عالم من غير مشقة شديدة لكن البعض لا يأتون الاكتساب من طريقهِ الحلال طريق العمل البدني والشغل العقلي بل يلقون انفسهم عالةً عَلَى غيرهم وهم المتسولون واهل البطالة والكسل عَلَى انواعهم اعضاء فاسدة من جسم المجتمع الانساني يجب قطعها او مداواتها وانجع داء فيها ان تقطع عنها كل صدقة حتى يضطرَّها الجوع إِلَى العمل فتعيش بعرق الجبين. ومن هٰذَا القبيل اولاد الاغنياء والامراء الذين لا يعملون عملاً نافعًا ولا سبيل لاحد عليهم حسب نظام المجتمع الانساني الحاضر ولكنهم ينالون جزاءهم آجلاً ان لم يكن عاجلاً من ضعف الجسم وفساد النسل وخسارة المال ولا يمضي عليهم سنون كثيرة حتى ينقرض نسلهم ويعفو اصلهم او ينحطوا إِلَى درجة السوقة ويعودوا الى العمل الذي انفوا منهُ

هذا من قبيل التفريط في الاكتساب اما الافراط فيهِ فداءٌ يتولّى بعض النفوس التعيسة فتمسي رقيقة للمال ولا تجد فيهِ لذة. واي لذة يجدها العبد في خدمة سيد ظالم لا يريح خادمهُ نهارًا ولا ليلاً. نقل العرب عن سقراط قولهُ " الاغنياء البخلاء بمنزلة البغال والحمير تحمل الذهب والفضة وتعتلف التبن والشعير". والحريصون على الاكتساب المتهالكون فيهِ تزول من نفوسهم كل شفقة وكل عاطفة بشرية ويضحّون على مذبح المال كل الآداب والفضائل وان جادوا ببعضهِ لبعض الاعمال النافعة فليس غرضهم النفع بل ارتفاع الشان وعلوّ المنزلة او الاحتيال على زيادة الكسب من وجوه اخرى. وتاريخ البشر يؤيد قول الكتاب القائل محبة المال اصل لكل الشرور

والانفاق كالاكتساب الافراط فيهِ والتفريط مذمومان على حدّ سوى . فاذا كان لامرء مال وافر وحرص عليهِ ولم ينفقهُ بل تركهُ كلهُ لاولادهِ فقد جنى عليهم لانهُ حرمهم مما يقوّي هممهم ويشدد عزائمهم حرمهم مما كان ذريعة لهُ الى الاكتساب والاثراء وتركهم يتمتعون بمال لم يتعبوا في اكتسابهِ ولا يعرفون لهُ قيمة فيبذرونهُ سريعًا ويمسون فقراء لا يقوون على العمل . واذا انفق مالهُ كلهُ ولم يبقِ شيئًا لاوقات الشدة والمرض ولا لاولادهِ الذين ربّاهم في الرفاهة والراحة فقد جنى على نفسهِ وعليهم لان المصائب والمحن لا تراعي المجد السالف بل تكون وطأتها على من كان ذا نعمة وخسرها اشد منها على من عاش عمرهُ كلهُ في الفقر والمسكنة. فالاعتدال في الانفاق يقي صاحبهُ ويقي اولادهُ ايضًا من الفقر ومن البطر

اما الاعتدال في المسكرات الذي هو غرض هذه الجمعية وبهِ سميت فلم اتكلم عليهِ لان المسكرات ليست من الحاجيات ولا من الكماليات ولا مما يصحُّ او يجوز فيهِ الاعتدال. واي امرء يوصي بالاعتدال في شرب السم او حرق المال. ولست اعني ان كل كاس من المسكرات تؤذي شاربها كما يؤذيهِ شرب السم ولا ان كل من يشرب كاسًا يتدرج منها الى ادمان المسكرات بل اعني ما حققهُ العلم وايدهُ الاختبار وهو اولاً انهُ ليس من شرب المسكرات نفع خاص وان كانت تغذي الجسم قليلاً فتغذيتها لهُ لا توازي ثمنها. ثانيًا ان القليل منها يجرُّ الى الكثير احيانًا كثيرة وهذا الكثير مضرٌّ حتمًا. ثالثًا انها تفيد في بعض الامراض ولكن لا يجوز ان تستعمل حينئذٍ الا كدواء يشير بهِ الطبيب . رابعًا ان الاطباء ليسوا على درجة واحدة من العلم والاختبار وان اعلمهم واوسعهم اختبارًا لا يشيرون باستعمال المسكرات دواء الا في احوال قليلة جدًّا

اما الضرر من ادمان المسكرات فاشهر من ان يذكر واوضح من ان يوصف وهو كافٍ لتطليقها بتاتًا ومنع الناس من شربها ولو كانت منافعها اضعاف ما هي

ايلة وبتراء والانباط

قال ابن خلدون في الجزء الثاني من تاريخهِ ان خالد بن الوليد قال لعبد المسيح اخبرني بما رأيتَ من الايام " قال رأيت المرأة من الحيرة تضع مكتلها على رأسها ثم تخرج حتى تأتي الشام في قرىً متصلة وبساتين ملتفة وقد اصبحت اليوم خراباً " . ثم تعزَّى ابن خلدون عن ذلك بقولهِ " ان الله يرث الارض ومَن عليها وهو خير الوارثين " كأنهُ تعالى لا يريد ان يرث الارض عامرةً فيهلك اهلها لكي يرثها خراباً

ومن يجل في بلاد الشام من حدود الحجاز إلى بر الاناطول ومن بحر الروم الى الجزيرة والعراق ويشاهد الخرائب المنتشرة في طول البلاد وعرضها واطلال المدن القديمة والهياكل الفخيمة ويراجع كتب التاريخ ويقف على اخبار مملكة يهوذا واسرائيل وصور وصيداء ودمشق وتدمر وما كان لهنَّ من عزَّة الملك وكثرة الجيوش والاساطيل -- ثم ينظر إلى حال البلاد الآن وما صارت اليهِ من الانحلال والاضمحلال ويفتش عن ابنائها في اميركا واستراليا وجزائر المحيط ويجدان الباقين فيها لا يبلغون مليونين عدًّا واكثرهم يتبلغ العيش تبلغاً ومدنهم البرية مأوى للبوم والبحريَّة مناشر للشباك — مَن يرَ ذلك كلهُ يقف وقفة الحيران يسائل كتب التاريخ عن اسبابهِ ويبحث في شرائع العمران عن دواعيهِ . واذا كان من ابناء تلك البلاد مثلنا ادَّتهُ خاتمة المطاف الى التأوه والتحسُّر واليأس والقنوط

اذا خرج السائح من مصر قاصدًا الشام برًّا بطريق العقبة وجبال الشراة فاول مكان يبلغهُ من حدود الشام العقبة عند طرف اللسان الشرقي من لساني البحر الاحمر . هناك كانت مدينة ايلة وعلى مقربة منها كان مرفأ سفن سليمان الحكيم التي كانت تجلب لهُ البضائع من الهند وشرقي افريقية ذهباً وصندلاً وحجارة كريمة . امتلك بنو اسرائيل هذه المدينة في ايام داود وتعاقب عليها ملوكهم وملوك ارام (الشام) الى ان تغلب عليها رصين ملك ارام قبل المسيح بنحو سبع مئة وخمسين سنة وبقيت فرضة للسفن الذاهبة الى بلاد الهند والآتية منها . وتنصَّر اهلها في بدء النصرانيَّة وصارت مقرَّ اسقف وبقيت كذلك الى ان غزا النبي محمد غزوتهُ الاخيرة الى تبوك فاتاهُ يوحنا بن رؤبة صاحب ايلة فصالحهُ على الجزية وكتب لهُ كتاباً فبلغت جزيتهم ثلثمئة دينار ثم زاد فيها الخلفاء من بني امية فلما كان عمَر بن عبد العزيز لم يأخذ منهم غير ثلثمئة . ومن ثم غاب ذكر هذه المدينة فلم تعد

تذكر في كتب التاريخ الاّ نادرًا . ويقال ان الصليبيين اخذوها سنة ١١١٦ للمسيح واستردها صلاح الدين الايوبي منهم سنة ١١٦٧

ثم اخذها رينلد شاتيلون سنة ١١٨٢ .وذكرها ابو الفدا بعد ذلك فقال " والقلزم وايلة على ذراعين او لسانين من البحر قد طعنا في البر الشمالي وصار بين اللسانين المذكورين للبر دخلة الى الجنوب في البحر وفي تلك الدخلة الطور وعلى طرف اللسان الشرقي ايلة وعلى طرف اللسان الغربي القلزم " ثم قال " وايلة كانت مدينة صغيرة وكان بها زرع يسير وهي مدينة اليهود الذين جعل منهم القردة والخنازير وهي في زماننا برج وبهِ والٍ من مصر وليس بها مزدرع وكان لها قُلَيعة في البحر فابطلت ونقل الوالي الى البرج في الساحل ". ولم يبقَ الآن من هذه المدينة الاّ الانقاض وليس العبرة بها بل بمرفإِها الذي كان فرضة الشام الى الهند وجنوبي افريقية ومقرَّ تجارة واسعة النطاق كثيرة المكاسب جعلت الفضة والذهب في اورشليم مثل الحجارة كثرةً فانقطعت التجارة وخربت المدينة وردم المرفأ وليس في بلاد الشرق كلها من يسأَل عن سبب ذلك

وعَلَى منتصف المسافة بين ايلة وبحيرة لوط قبر هرون وعين موسى حيث يقال ان هرون اخا موسى مات ودُفن وان موسى ضرب الصخرة فشقها وخرج الماء منها لسقيا بني اسرائيل . وهناك منفرج بين جبال الشراة فيهِ آثار مدينة قديمة كانت محط القوافل بين بلاد فارس وبلاد مصر وبين الهند والبحر المتوسط وهي الَّتي سميت في التوراة سالع وسمَّاها اليونان والرومان بترا ولعلها البتراء الواردة في ما ذكرهُ ابن هشام عن غزوة النبي لبني لحيان حيث قال انهُ سلك عَلَى غراب جبل بناحية المدينة على طريقهِ إلَى الشام ثم على مخيض ثم على البتراء. وظن بعضهم انها هي الرقيم التي ذكرها ابو الفداء حيث قال " ومن الاماكن المشهورة بالشام الرقيم وهو بُلَيْدة صغيرة بقرب البلقاء وبيوتها كلها منحوتة من الصخر كانها حجر واحد " . لكن ذلك بعيد لبعد البلقاء عن جبال الشراة

ومعنى البتراء باليونانيَّة الصخر او الجندل وهذا معنى سالع اسمها بالعبرانيَّة . ومعنى سالع بالعربيَّة الشق في الجبل . ومن الغريب ان منفرج الجبل الذي يوصَل بهِ الى اطلالها يسمَّى الآن شقًّا كأَنهُ مرادف لاسمها العبراني

وكانت البتراء للادوميين ثم تغلَّب عليها النبط جاؤُوها من العراق العربي وكانوا اهل حضارة وتجارة ولغتهم كالارامية وحروفها كالحروف الكوفيَّة والمظنون ان الحرف الكوفي مشتق منها . وجاء في التواريخ القديمة ان انتيغونس احد قوَّاد الاسكندر المكدوني الذي

توفي سنة ٣٠١ قبل المسيح بعث حملتين على النبط في بتراء بعد ما استولى على سورية وفلسطين الاولى بقيادة قائد اسمهُ اثينيوس فهاجمَ بتراء سنة ٣١٢ قبل المسيح ورجالها غائبون عنها في سوق عمومية وغنم منها غنيمة وافرة من المر واللبان وخمس مئة وزنة من الفضة ولما عاد اهلها ورأوا ما حلَّ بهم اقتفى اثرهُ ثمانية آلاف منهم وبيتوهُ وقتلوا اكثر رجالهِ . والحملة الثانية بقيادة ابنهِ ديمتريوس وبلغ خبرهُ النبط فامتنعوا عليهِ ولم ينلهم منهُ مكروه

وذكر سترابو المؤرخ النبط في ايام اغسطس قيصر فقال ان عاصمتهم بتراء وقد سميت بذلك لان الصخور تحيط بها من كل ناحية وفيها مياه غزيرة لسقي بساتينها واكثر الارض حولها قفار ولا سيما في ما يلي اليهودية وكان تجار الهند والعرب يأتونها ببضائعهم و ينقلونها من هناك الى العريش وزادت هذه التجارة في ايام الرومان فاختطوا طريقاً لها من ايلة إلى بتراء فدمشق وطريقاً اخرى من بتراء الى اورشليم وعسقلان وثغور الشام

واتى الفيلسوف اثينادورس صديق سترابو الى بتراء واستوطنها مدة ورأى فيها كثيرين من الرومانيين وغيرهم من الغرباء وكانوا مستوطنين فيها

وذكرها بلينيوس في القرن الاول المسيحي وقال ان النبط يسكنون مدينة اسمها بتراء في وادٍ اقل من ميلين اتساعاً يحيط بها جبال لا تُسلك وفيها نهر جارٍ

اما الذي اكثر من ذكرها وذكر ملوكها فهو يوسف ابن كربون المؤرخ اليهودي الشهير المعروف بيوسيفوس قال في الفصل الثالث عشر من الكتاب الثالث عشر من تاريخهِ المشهور "بعاديات اليهود" ان الاسكندر ملك اليهود حارب عُبَيْد ملك العرب (سنة ٩٣ قبل المسيح) وكان عبيد قد اقام لهُ كميناً في وعر عسر المسالك في الجولان فدخل الاسكندر وادياً عميقاً هو ورجالهُ ولم ينجُ منهُ الاَّ بشق الانفس

ثم ذكر كيفيَّة استيلاء ملوك النبط عَلَى دمشق فقال ان انطيوخس آخر ملوك السلوقيين قصد الحرث ملك بتراء فابعد الحرث من وجههِ اولاً إِلَى حيث تمكنهُ البلاد من مناجزتهِ ثم انقلب عليهِ بغتةً بعشرة آلاف فارس من فرسانهِ فكاد جنود انطيوخس يولون الادبار ورأى منهم ذلك فاسرع إِلَى لم شعثهم وتشديد عزائمهم فاصابتهُ ضربة قضت عليهِ وتفرق شمل رجالهِ بعدهُ وانهزم الذين نجوا منهم الى قرية قانا فماتوا جوعاً . وكان اهالي دمشق يكرهون بطليموس فدعوا الحرث ملك العرب وملكوهُ عليهم

اما الحرث الذي ذكرهُ بولس الرسول فقد قال يوسيفوس ان هيرودس انتباس (انطيفس) تزوَّج ابنتهُ ثم اراد تطليقها ليتزوج هيروديا امرأة اخيهِ فتركتهُ وذهبت إِلَى

بيت ابيها ونشبت الحرب بسبب ذلك بين ابيها وهيرودس فدارت الدائرة عَلَى هيرودس .
وأمر فثيليوس والي سورية بمحاربة الحرث والاقتصاص منهُ فجيش الجيوش وسار بها ثم
بلغهُ ان مولاهُ طيباريوس قيصر مات نعدل عن الحملة . والظاهر ان الحرث اغتنم الفرصة
حينئذٍ وغزا دمشق واستولى عليها مدةً قصيرة لان استيلاءهُ عليها حينئذٍ لم يذكرهُ احد
من المؤرخين

وذكر مؤرخو العرب النبط فقالوا انهم من اهل بابل وجعل بعضهم السريان والنبط امةً
واحدةً وجعلهما بعضهم امتين ولكنهُ حسب النبط والكلدان امةً واحدة ثم قالوا ان بختنصر
ملك بابل "سار الى العرب وقد نظم ما بين ايلة والابلة خيلاً ورجلاً وتسامع العرب باقطار
جزيرتهم واجتمعوا للقائهِ فهزم عدنان اولاً ثم استلحم الباقين ورجع الى بابل وجمع السبايا فانزلهم
الانبار ثم خالطهم بعد ذلك النبطة " . ومفاد ذلك ان العرب استوطنوا العراق العربي منذ
عهد قديم واختلطوا بالانباط . وهو صحيح تثبتهُ الآثار والتواريخ القديمة . والظاهر ان
عرب العراق كانوا يتجرون بين اشور ومصر فانتشروا في بلاد الشام الَّتي كانوا يمرون بها واقاموا
فيها ثم ملكوها وصاروا عمالاً للقياصرة ومنهم الحوارث ملوك بتراء . واما الحوارث من عرب
غسان الذين يقول فيهم حسان بن ثابت

لله در عصابة نادمتهم	يوماً بجلق في الزمان الاوَّلِ
اولاد جفنة حول قبر ابيهم	قبر ابن مارية الكريم المفضلِ
يغشون حتى ما تهرُّ كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبلِ

فليسوا ملوك بتراء الاقدمين بل هم من عرب اليمن تفرقوا بسيل العرم الذي حدث ١٠٢ للمسيح
ونزلوا عَلَى ماء بالشام يقال لهُ غسان فسموا بهِ . وكان في الشام الضجاعمة وهم من عرب
العراق فحاربهم الغساسنة واخذوا البلاد منهم

وخضعت بتراء للرومانيين في عهد تراجنس في اوائل القرن الثاني للمسيح وسماها سكانها
باسم ادريانس اكراماً لهُ وضربوا نقودهم باسمهِ ثم ذكرت في القرن الرابع والخامس والسادس
وحضر مطرانها جرمانوس في المجمع السلوقي سنة ٣٥٩ .ومطرانها ثيودورس في المجمع الاورشليمي
سنة ٥٣٦ ولم يبقَ منها الآن الاَّ شيءٌ من مدافنها وهيا كلها وكلها منحوتة في الصخر على
جانبي الوادي وهي من اعجب ما صنعهُ الناس كما ترى في الصورة المدرجة في صدر هٰذا
الجزء وهناك آثار مشهدها ومقاعدهُ منحوتة في الصخر قطرهُ نحو ٣٥ متراً وكان يسع نحو
اربعة آلاف نفس

هذه خلاصة وجيزة من تاريخ مدينتين من مدائن الشام لم نذكرها للفكاهة ولا لتهييج الشجا بل ليرى ابناء المشرق ان اطراف بلادهم المحسوبة الآن قفاراً ومفاوز كانت غاصة بالسكان وكان فيها مدن ضخمة تردُّ غارات اليونان والرومان وان ما صلحت لهُ منذ مئات من الاعوام تصلح لهُ الآن اذا بذلت الهمة في اعادة العمران اليها

النار والسيف في السودان

حكم الخليفة واوصافهُ

لم يكد الخليفة عبدالله التعايشي يتربع في دست الخلافة حتى التفت الى بيت المال فطرد منهُ احمد ولد سليمان امينهُ لانهُ كان يوزع الاموال على اقارب المهدي بغير حساب ونصَّب فيهِ ابرهيم ولد عدلان وهو رجل همام خبير بضروب الكسب فنظم اساليب الدخل والنفقة واكثر الموارد على انواعها وضرب الريالات مازجاً فضتها بالنحاس ولما ابى التجار قبضها تهددهم الخليفة باخذ اموالهم وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف فتعاملوا بها ولكنهم رفعوا اثمان البضائع والخليفة يحسب انهم اطاعوا اوامرهُ. وقد علم ولد عدلان هذا كيف يعلي مقامهُ في عيني الخليفة ويكتسب رضاهُ وهو انهُ خصهُ واقاربهُ بالنصيب الاكبر مما في بيت المال فبقي مكرَّماً مسموع الكلمة . ثم لما زاد عتو الخليفة وطغيانهُ بدرت من ولد عدلان بادرة فاخذهُ بها وقتلهُ شرَّ قتلة كما سيجيء

وجمع قبائل العرب الآتين معهُ من الانحاء الغربيَّة وامرهم ان يكونوا عصبةً واحدةً والاّ غلبهم البرابرة والجمالون وسكان الجزيرة . وجعل يصادر اقرباء المهدي ورجالهُ والخليفتين الآخرين ويزيد سطوةً واستبداداً يوماً فيوماً واذا درى ان الناس انتبهوا الى ذلك ولاموهُ عليهِ ولو في بواطنهم ارسل الى الخليفتين بعض الهدايا من الغنائم التي كانت ترد اليهِ تباعاً كالجواري والخيول والبغال واوعز الى اقاربهِ ان يخبروا بذلك في كل مكان حتى يرسخ في النفوس انهُ كريم مفضال ولا يتهمهُ احد بسوء

ولما رأى ان تلك الالوف المؤلفة من سكان السودان لا يمكن ان تقيم على ولائهِ طويلاً اذا اشتهر ظلمهُ او خانهُ دهرهُ بعث الى قبيلتهِ يحثها على المجيء اليهِ ليملكها البلاد التي انعم الله عليهِ بها وغرضهُ الباطن ان يستعز بقومهِ ويأمن بهم غدرات الزمان فجاؤُوهُ كلهم وغنموا

كل شيءٍ التقوا بهِ في طريقهم من الجمال والبقر والحمير بل كانوا يجردون الرجال والنساء من ثيابهم وحلاهم ويأخذونها . وكان الخليفة قد انشأ لهم اهراء في طريقهم وملأها بالحبوب لهم ولماشيتهم . ولما بلغوا النيل كانت البواخر في انتظارهم فسارت بهم الى ام درمان . وقبل ان يدخلوها انزلهم الخليفة على الضفة اليمنى وبعث اليهم ثياباً جديدة من بيت المال وجعل يأتي بهم الى ام درمان فرقاً فرقاً وطرد الناس من منازلهم بين الجامع والحصن وانزلهم فيها وامر تجار الحبوب ان يبيعوهم ما عندهم بابخس الاثمان ومن ابى ذلك اخذ ما عندهُ غنيمةً فاضطر التجار ان يبيعوا ما عندهم بخس ثمنهِ . ولم يقع مطر في العام السابق وجاء التعايشيَّة فاكلوا ما في البلاد من الحبوب المذخورة فيها فضرب الجوع اطنابهُ وارتفع ثمن اردب الذرة الى اربعين ريالاً ثم الى ستين ومات كثيرون جوعاً والذين لم يموتوا نحلت ابدانهم من قلة الطعام حتى لم يبقَ منهم الاَّ الجلد والعظم واكل الناس الجلود اليابسة وجيف الحيوانات بل اكل بعضهم بعضاً وباعوا اولادهم عبيداً لكي يجوهم من الموت وانتشرت جثث الموتى في طول البلاد وعرضها وليس من يدفنها . وانقرضت قبائل كثيرة حتى لم يبقَ منها احد . وكانت هذه المجاعة قاصرة على البلاد الخاضعة للخليفة اما البلاد المجاورة لها فكانت في رخاء ولذلك قام التجار من ام درمان وصعدوا في النيل جنوباً الى فاشودا وصابات وجلبوا الذرة منهما ولولا ذلك لمات اكثر الاهالي. ثم هطلت الامطار فاحيت الارض والآمال ونمت المزروعات بسرعة مبشرة بالرخاء بعد الشدة ولكن لم يحن حصدها حتى جاءها الجراد فالتهم جانباً كبيراً منها . واراد الخليفة ان يحتكر ما بقي ليطعمهُ لقبيلتهِ فاضطرَّ اصحابهُ ان يبيعوهُ لهُ بثمن بخس . وامر ابرهيم ولد عدلان امين بيت المال ان يمضي الى بلاد الجزيرة ويقنع اهاليها ليعطوهُ ما استغلوهُ من الذرة بغير ثمن فذهب مكرهاً لانهُ على ما بهِ من الجشع لم يكن يجيز الجور إلى هٰذا الحد . وكان قد اثرى من بيت المال وكثر حسادهُ وخصومهُ فوشوا بهِ إلى الخليفة انهُ نسب هذه المجاعة اليهِ والى سلبهِ الناس لاجل قبيلتهِ فاسترجعهُ الخليفة واستدعاهُ اليهِ ووبخهُ توبيخاً صارماً . وكان ولد عدلان جسوراً أبيَّ النفس حاسباً ان الخليفة لا يستغني عنهُ فقال لهُ ألي تقول هذا القول بعد ان خدمتك هذه السنين كلها ولكنني لا أخشى في الحق لومة لائم فاعلم انك بتفضيلك لقومك وحبك للاذى نفرت منك قلوب الذين كانوا يخلصون لك ولقد كنتُ دائماً اميناً في خدمتك ولكن بما انك اصغيتَ الى اعدائي والى اخيك يعقوب الذي يكرهني فلا اقدر ان اخدمك بعدُ"

فاضطرب الخليفة من هٰذا الكلام وقال ان الرجل لم يتكلم بهذه الجرأة الاَّ ولهُ عزوة

في البلاد ولم يستعف من منصبهِ الاَّ وهو على ثروة طائلة · ولكنهُ اضمر الكمد واظهر الجلد وقال لهُ سانظر في امرك فدعني الآن وغداً اردُّ لك الجواب . فخرج من حضرتهِ وقبل ان يبلغ الباب كان الخليفة قد صمم على الفتك بهِ فجمع الخليفتين والقضاة واخاهُ يعقوب واستدعى ولد عدلان وعنَّفهُ امامهم على جرأتهِ وقال لهُ انك انت ابعدت قلوب الناس عني ولكن الله عادل وسوف تلقى عاقبة ما جنت يداك . ثم امر الملازمين ان يمضوا بهِ الى السجن وامر باستصفاء اموالهِ فوجدوا في جيبهِ ورقة عليها اسم الخليفة وكتابة مبهمة مكتوبة بماء الزعفران فقال الخليفة انها سحر اراد ان يسحرني بهِ فحكم عليهِ بالقتل وقيد الى المشنقة فصعد اليها بقدم ثابتة واسلم الروح . وارسل الخليفة اخاهُ يعقوب الى جنازتهِ ليرى الناس انهُ لم يأخذهُ الاَّ بذنبٍ جناهُ ضد احكام الشريعة وانهُ هو غير حاقد عليهِ

وعلى ذكر القضاة نقول ان الخصومات تفصل في مجالس القضاء بحسب الشريعة المحمديَّة ومنشور المهدي واشارات الخليفة . ولكن اشارات الخليفة اي اوامرهُ واغراضهُ هي المحور الذي تدور عليهِ الاحكام . وهو لمكرهِ يدَّعي انهُ خاضع للشريعة كعامة الناس · واتفق مرَّةً ان صدَّقهُ احد الامراء في دعواهُ وكان قد عزلهُ من منصبهِ لانهُ رأى منهُ ميلاً الى غيرهِ فرفع شكواهُ الى مجلس القضاء وحضرهُ الخليفة كأَنهُ من عامة الناس واجتمع خلق كثير ليروا اتضاعهُ وخضوعهُ للشريعة وعدل القضاة . فقال المدعي انهُ كان اميراً على قبيلتهِ كل ايام المهدي وان الخليفة عزلهُ بلا سبب مع تعلُّق قبيلتهِ بهِ فظلمهُ وهو يطلب من القضاة ان ينصفوهُ . فقال الخليفة اني استدعيتهُ مراراً كثيرة لامور ذات شأن فلم اجدهُ في بيتهِ ولا في الجامع وذلك دليل قاطع على انهُ يهمل شعائر الدين فعزلتهُ لهذا السبب . فحكم القضاة عليهِ بالجلد والسجن فجلدوهُ حتى سال دمهُ . وشاع في البلاد كلها ان الخليفة على رفعة مقامهِ لم يأنف من ان يحاكَم مثل سائر الناس . ولدهائهِ لم يترك هذه الفرصة تذهب سدًى فاستدعى الرجل في اليوم التالي وعفا عنهُ واهدى اليهِ جبةً وجاريةً فتهرهُ وعاد بالفخر

والقضاة طوع امرهِ بل طوع اشارتهِ وكأَنهم يعرفون مقاصدهُ من غير ان يعرب لهم عنها فلا تأخذهم في مرضاتهِ لومة لائم ولا يراعون حقًّا ولا حرمةً ورئيسهم وهو القاضي احمد ولد علي جمع بهذا السبيل ثروةً عظيمةً فكان عندهُ الف عبد يعملون في ارضهِ وكان لهُ من الخيل والجمال والغنم والبقر ما لا يحصى وكان في حرمهِ اجمل النساء واحسن الجواري فحسدهُ ابن الخليفة واخوهُ يعقوب على هذه النعمة بل حسدهُ الخليفة نفسهُ

وتربَّص بهِ الفرص للايقاع بهِ ثم اتهمهُ بانهُ عمل على خلاف ما امرهُ بهِ وحكم عليهِ بالسجن المؤبد وحبسهُ حيث حبس زكي طومال كما سيجيء فمات ميتتهُ وغنم الخليفة كل اموالهِ واخذ هو واخوهُ وابنهُ كل الحسان من نسائهِ وجواريهِ ووزعوا الباقيات على اتباعهم

وهٰذا شأنهُ مع كل من وفرت نعمتهُ او عظمت قوتهُ كما فعل مع الامير زكي طومال وهو من التعايشيَّة ومن الابطال المعدودين فانهُ لمَّا آنس منهُ القوة والثروة في المديريات الاستوائيَّة استدعاهُ اليهِ الى ام درمان مدعيًا انهُ يريد ان يأمرهُ اوامر شفاهيَّة ورحب بهِ حين قدومهِ ثم استدعاهُ يعقوب اخو الخليفة الى بيتهِ وامر رجالهُ فقبضوا عليهِ فجأَةً وكبلوهُ بالقيود وقال لهُ يعقوب هات ارنا قوتك ايها البطل فقال انكم غدرتم بي ولو كنت مطلقًا في ميدان النزال ما وقف امامي مئة مثلك . وانا اعلم الآن انني هالك ولكنكم لستم واجدين مَن يقوم مقامي. ثم امر يعقوب فوضعوهُ في سجن حرج لا يسع غيرهُ وقطعوا عنهُ الطعام ولم يعطوهُ الاَّ قليلاً من الماء فعاش على هذه الصورة ثلاثة وعشرين يومًا ثم مات جوعًا بعد عذاب شديد. ووُجد عندهُ خمسون الف ريال من الريالات النمسويَّة والمجيديَّة وكثير من خواتم الذهب والحلى ألَّتي غنمها من الاحباش. وكثير من الخيل والجمال والبقر والغنم والعبيد وكان لهُ مئة واربع وستون امرأة وسبعة وعشرون ولدًا فاخذ الخليفة العبيد والمواشي وفرق النساء اللواتي لا اولاد لهنَّ على خواصهِ والنساء اللواتي لهن اولاد زوجهن بعبيدهِ لكي يربو اولاد زكي عبيدًا

ورأى الخليفة في اوائل حكمهِ ان يعزز مقامهُ في عيون الشعب ويقنعهم بانهُ سائر في خطة المهدي مجلٌّ لمقامهِ فبنى عَلَى قبرهِ مقامًا كبيرًا وهو بناءٌ مربع طولهُ اثنا عشر مترًا وعلوهُ عشرة امتار وثخن جدرانهِ متران وفوقهُ بناءٌ مسدَّس ارتفاعهُ خمسة امتار وفوق هٰذا قبة ارتفاعها نحو ثلاثة عشر مترًا وزين جدرانهُ من الداخل وعلق فيهِ ثريَّا كبيرة اخذها من دار الحكومة في الخرطوم واتى بالحجارة لهذا البناء من الخرطوم وذهب بنفسهِ الى النهر وحمل اول حجر من الحجارة عَلَى كتفهِ وكان معهُ ثلاثون الفًا من الاتباع فحمل كلٌّ منهم حجرًا. وقد رسم المقام مهندس مصري من الذين كانوا في خدمة الحكومة المصريَّة قبلاً وبناهُ بناؤُون مصريون لكن الخليفة ادَّعي انهُ هو رسمهُ بوحي الهي وان الملائكة كانت تبنيهِ. وبلغ رئيس البنائين ذلك فقال لاتباعهِ ان الخليفة يحسبكم ملائكة ليقنعكم انكم في غنًى عن الاكل والشرب والاجرة. ولحسن حظهِ لم يبلغ كلامهُ اذن الخليفة والاَّ لاطعم لحمهُ الغربان

وخدمهُ السعد في اول حكمهِ وكان رجالهُ يحاربون في سبيلهِ مستبسلين عن غيرة دينيَّة واعتقاد راسخ ففتحوا سنار وكسلا وتغلبوا على الاحباش ونجحوا في قمع الثورات الداخليَّة

والايقاع بالثارين . ولكن نجم سعدهِ مال الى الافول بعد ان تكبد سماءهُ مدة . فاوّل ضربة كانت عليهِ ظلمهُ المفرط الذي اضعف اعتقاد الناس بهِ وحوّل قلوبهم عنهُ ثم المجاعة المتقدم ذكرها ألّتي اماتت الوف الالوف من اهالي السودان ثم واقعة طشكي مع الجيش المصري ألّتي قُتل فيها ولد النجومي والامراء الذين معهُ والوف من رجالهم وأُسر من بقي منهم و بلغ عدد القتلى والجرحى والاسرى ستة عشر الفاً . ثم واقعة طوكر ألّتي دُحر فيها عثمان دقنة . وواقعة اغردات ألّتي قتل فيها الامير احمد ولد علي وكثيرون من الامراء و بلغ عدد القتلى فيها الذين قتلهم الايطاليون ثم هاجموا كسلا ففتحوها عنوةً . هذه غاية ما بلغ اليهِ كتاب سلاتين باشا من كسرات الخليفة ومعلوم ما حدث في الشهرين الماضيين من استيلاء الجنود المصريّة على عكاشة وفركة وسواردة والاثخان بالدراويش وقد لا يمضي هذا الصيف حتى تصير الجنود المصريّة امام دنقلة

ويظهر من كتاب سلاتين ان غرض الخليفة الآن الاحتفاظ بما عندهُ وهو يوصي امراءهُ ان يلزموا خطة الدفاع فلما حدثت واقعة طشكي أُسقط في يدهِ وظن ان غرض الحكومة فتح السودان كلها وكذا لما أُخذت طوكر وكسلا . ولا ندري ما تكون ظنونهُ الآن وقد جاهرت الحكومة المصريّة بانها قاصدة اليهِ

ويظهر لنا من عنايتهِ بسلاتين باشا انهُ كان يريد اذخارهُ لنوائب الايام والانتفاع بخدمتهِ . وقد اغراهُ مراراً كثيرة بالزواج وعرض عليهِ مرةً واحدةً من نسائهِ وهي من الجواري الحسان فاحتال سلاتين عَلَى رفضها حيلةً افحمت الخليفة وذلك انهُ قال لهُ انك تحسبني ابنك وتقول ان هذه من زوجاتك فكيف يجوز للرجل ان يتزوَّج بامرأة ابيهِ . فابدى الخليفة سرورهُ بهذا الجواب وخلع عليهِ جبتهُ قائلاً خذها فانني قد لبستها مراراً وقد باركها المهدي لي وسيحسدك عليها مئات والوف من الناس فاحتفظ بها تجلب لك الخير . وعرض عليهِ مرَّةً اخرى واحدةً من بنات عمهِ قائلاً انني احسبك واحداً منا بل احسبك صديقاً لي ونصيراً واريد ان اظهر ذلك عَلَى رؤُوس الاشهاد باعطائك ابنة عمي زوجةً فما تقول في ذلك . فوقع سلاتين في حيص بيص ولكنهُ تخلص عَلَى هذه الصورة قال " يا سيدي الله يبارك فيك وينصرك عَلَى اعدائك اني اعرف قيمة الشرف الذي خولتني اياهُ بكرمك ولكنني ارجو ان تسمع ما اقول فان ابنة عمك من بنات الملوك بل من نسل النبي ولذلك يجب ان تعامل بكل احترام وانا لسوء الحظ سريع الغضب واحياناً كثيرة لا اقدر ان املك طبعي فلا بدَّ من خصام في بيتي يحملك عَلَى الغيظ مني وانا غاية مناي ان تبقى راضياً

عليَّ واسالهُ تعالى ان ابقى مشمولاً برضاك لاني اخاف ان افعل شيئًا يغيظك "

فقال لهُ الخليفة قد عرفتك منذ عشر سنوات الى الآن ولم ارَ فيك شيئًا من حدَّة الطبع وقد اهديتُ اليك نساءٍ كثيرات ولم اسمع شكوى واحدة منهنَّ عَلَى اني اعلم انك كنت تهديهنَّ الى خدمك او تطلق سراحهنَّ . ويظهر لي انك تريد ان تبقى سائرًا في خطة قومك ولو ادَّعيت انك منَّا اي انك تريد ان تكتفي بزوجة واحدة . فتنصَّل سلاتين من ذلك عَلَى اسلوب حسن واشار عليهِ الخليفة بالخروج فخرج وهو لا يصدق بالسلامة

واثبت سلاتين في كتابهِ فصلين مسهبين في اخلاق الخليفة واطوارهِ وسياستهِ قال فيهما انهُ من التعايشيَّة وهم فريق من البقارة سكان البلاد ألَّتي في الجنوب الغربي من دارفور ولما التصق بالمهدي كان في الخامسة والثلاثين من عمرهِ وكان نحيف الجسم شديد العضل ثم سمن كثيرًا لما عاش في الرفاهة والترف . وهو في غالب الاحيان عابس الوجه سريع الغضب شديد النقمة لا رحمة في قلبهِ ولا شفقة . سيء الظن جدًّا لا يأمن احدًا . يحب المدح والتملق ولذلك لا يجسر احد ان يكلمهُ الاَّ اذا اشار إِلَى حكمتهِ وقوتهِ وعدلهِ وبسالتهِ وكرمهِ وصدقهِ وويل لمن يقول كلمة تحط من قدرهِ . مثال ذلك ان قاضيًا اسمهُ اسمعيل ولد عبد القادر درس في مصر وتقرَّب من المهدي وكتب رسالة في وصف حروبهِ فاكرمهُ المهدي وامرهُ ان يسجل كل الحوادث في سجل لكي يبقى تاريخًا للسلف وامر امراءهُ ان يبعثوا اليهِ بتفصيل الوقائع المختلفة لكي يسجلها فلما مات المهدي وقام الخليفة بعدهُ امرهُ ان يبقى في عملهِ . وحدث مرة ان هذَا المؤرخ كان مع بعض الندمان فشبَّه السودان بمصر والخليفة بالخديوي اسمعيل باشا وشبه نفسهُ باسمعيل باشا المفتش وبلغ الخليفة ذلك فاستشاط غيظًا وقال لقضاتهِ ان المهدي بمقام النبي محمد وانا خليفتهُ فمن في المسكونة كلها مقامهُ مثل مقامي وحاشا لي ان اشبَّه بخديوي تركي فكبِّل المؤرخ بالقيود وامر ان تحرق كتب التاريخ كلها وكان منها نسخ كثيرة فحرقت . ويقال ان واحدًا حفظ نسخة منها سرًّا ولم تزل هناك

وهو من العجب والخيلاء والقسوة على جانب عظيم فيدَّعي ان كل الفوز الذي فاز بهِ امراؤهُ انما كان بقوتهِ وحسن تدبيرهِ . ولا حدَّ لقساوتهِ فانهُ يسرُّ بتعذيب الناس ولذلك تراهُ يقتل هذَا ويقيد ذاك ويقطع اوصال ذلك ويستولي على اموالهم ونسائهم وذراريهم . ويسرُّ بالتفريق بين الرجل واهلهِ والام واولادها فاذا اعطاهم لرجالهِ عبيدًا اعطى بعضهم لاهل الشمال وبعضهم لاهل الجنوب حتى لا يجتمعوا ثانية . ووقعت اختا سلطان دارفور في يده فوهبهما لاميرين من امرائهِ جاريتين وكان لاحداها ام عمياء فتضرعت اليهِ ان يسمح

لها بالذهاب مع ابنتها فابى فماتت بعد يومين حسرة . وطرحت ابنتها نفسها في النيل فانتشلوها قبل ان تغرق ولكنها ماتت بعد ايام من العناء والكآبة . وقد قتل الوفاً من الابرياء ولا ذنب لهم وقطع ايدي وارجل كثيرين . وأُتي مرةً بسبعة وستين رجلاً ونسائهم واولادهم وكانوا متهمين بالتخلف عن نجدة ولد النجومي فامر ان يقسموا ثلاث فرق فرقة تقتل شنقاً وفرقة تضرب اعناقها وفرقة تقطع ايديها وارجلها من خلاف . ففُعل بهم حسب امرهِ وطاف عليهم بنفسهِ بعد التمثيل بهم ووجههُ طافح سروراً . وقد اثبت سلاتين صورة هذا المشهد في كتابهِ وهو مما تقشعر لهُ الفرائص و يقضي بان البشر اشرس من الوحوش الضارية

ولظلمهِ وغدرهِ يخافهُ كل اتباعهِ وهو لا يسمح لاحدٍ منهم ان ينظر اليهِ فيقفون في حضرتهِ مطرقي الرؤُوس خاشعي الابصار ولا يجلسون حتى يأْذن لهم بالجلوس فيركعون امامهُ ركوعاً ويبقون في حضرتهِ حتى يشير اليهم بالانصراف . وهو حريص جدًّا على منع الناس من النظر اليهِ ويدَّعي انهُ يخشى من العين

ولهُ ابن اسمهُ عثمان زوجهُ بابنة اخيه يعقوب لما كان لهُ من العمر سبع عشرة سنة واحتفل بزواجهِ احتفالاً عظيماً خالف فيهِ اوامر المهدي وبنى لهُ بيتاً فخيماً فرشهُ بفاخر الاثاث ثم زوجهُ باثنتين اخريين من اقاربهِ واعطاهُ كثيرًا من السراري وهو يراقبهُ بعين الغيرة ورأى منهُ مرةً ما رابهُ فبنى لهُ بيتاً آخر بقرب بيتهِ نقلهُ اليهِ لكي يكون تحت عينيهِ دائماً . وعندهُ اربع مئة زوجة من النساء والسراري وهن من كل امة وقبيلة في السودان . وكن يمتنعنَ عن التحلي بالذهب والفضة حسب امر المهدي لكنهنَّ خالفنَ هذا الامر الآن وصرن يتحلين بهما . ويضفرن شعورهنَّ ضفائر صغيرة ويضمخنها بزيوت وادهان يستطبن رائحتها وهي عند الاوربيين من اخبث الروائح . وعندهُ كثير من الخصيان لادارة حرمهِ وتبليغ اوامرهِ الى نسائهِ وسراريهِ

وكان طعامهُ في اول حكمهِ بسيطاً من العصيدة والشواء ثم لما كثرت نساؤُهُ وانضم اليهنَّ كثيرات من العارفات بطبخ الاطعمة التركيَّة والمصريَّة كثرت الالوان في طعامهِ وبلغ من التأنق فيها مبلغاً عظيماً

ولباسهُ جبة بيضاء لها حاشية ملونة وسراويل من القطن وطاقية مكيَّة عليها عمة بيضاء صغيرة وشملة خفيفة يطرحها على كتفيهِ واذا مشى حمل سيفاً بيسارهِ ورمحاً هندوياً بيمينهِ يتوكأ عليهِ ويمشي وراءهُ نحو ١٥ من الغلمان واكثرهم من اولاد الاحباش

وعندهُ من الجنود بحسب كتاب سلاتين نحو مئة وخمسة عشر الفاً وهم ٣٤٣٥٠ من

الجهادية حملة البنادق و ٦٦٠٠ من الفرسان و ٦٤٠٠٠ من السيَّافة والرماحة وعنده خمسة وسبعون من المدافع و ٤٠٣٥٠ من البنادق ونصف بنادقهِ من نوع رمنتون والنصف الآخر قديم و ثلث الرماحة والسيافة شيوخ او صغار لا يستطيعون القتال . ومدافعهُ ستة منها من مدافع كروب وهي كبيرة وقنابلها قليلة جدًّا وواحد وستون من النحاس تصنع قنابلها في ام درمان ومداها قصير جدًّا نحو سبع مئة متر

ويستعين على قيام سلطتهِ وتعزيز سطوتهِ بقيامهِ بشعائر الدين وتوليهِ الخطابة في الجامع فاذا انتصب للخطبة قال السلام عليكم يا اصحاب المهدي فيجيبونهُ عليك السلام ياخليفة المهدي فيقول ليبارككم الله ويحفظكم وينصركم فيقولون آمين آمين وحينئذٍ يشرع في الخطبة فيقول :

يا اصحاب المهدي ما اردأ الدنيا وما اقصر حياتنا فيها ولولا ذلك لبقي فيها النبي والمهدي وسوف نتبعهما فاستعدوا للدار الاخرى ولا تطلبوا ملاذ الحياة الدنيا . اقيموا الصلوات الخمس واقرأوا رتب المهدي وكونوا على اهبة لجهاد الكفار . اطيعوا اوامري اطيعوا اوامري تكن لكم افراح الجنة والذين يعصونها ولا يعبأُون بكلامي فهم من اهل النار أُعدت لهم وللكافرين نار جهنم فيها خالدون ... ونحو ذلك من الاقوال الَّتي يختلب بها قلوبهم ويتسلط عَلَى عواطفهم

وقد نهى عن حج البيت الحرام وامر اتباعهُ بالحج الى قبر المهدي وهم كارهون لذلك ولكنهم مكرهون عليهِ . وسيأتي الكلام في الجزء التالي عَلَى هرب سلاتين باشا وما لاقاهُ من العناء

تاريخ الكيمياء

من مقالة لحضرة الاستاذ كرنتون بلتون الاميركي (١)

الاستاذ برتلو استاذ الكيمياء في مدرسة باريس الكليَّة وعضو من اعضاء مجلس الشيوخ بفرنسا ووزير المعارف فيها وكان حديثًا وزيرًا للخارجيَّة مشهور عند العلماء في مباحثهِ الكيماويَّة . وقد اضاف الى ذلك الآن انهُ حرَّر اوسع كتاب في تاريخ الكيمياء وهو كتاب كبير في ست

---

(1) Berthelot's Contributions to the History of Chemistry. From the Journal of American Chemical Society, by Prof. H. C. Bolton.

مجلدات ضخمة طبعها بين سنة ١٨٨٧ وسنة ١٨٩٣ وضمنها اقدم ما كتبهُ اليونان والعرب والسريان واللاتين في الكيمياء والصناعة الكيماوية مما وُجد في مكاتب اوربا واسيا وطبع فيها الاصل بلغتهِ الاصلية مع ترجمتهِ وترجمات مقالات اخرى او خلاصتها . وعلق عليها شروحاً ضافية ابان فيها نسبتها بعضها إلى بعض . ومرادي بهذه المقالة ان اصف مضمون هذه الكتب واذكر بعض ما ادت اليهِ مباحث برتلو فيها فاقول

عُرف منذ عهد قديم ان في مكاتب اوربا كتباً قديمة في الكيمياء يونانية وعربية . وقد نشر فرديناند هوفر الفرنسوي وهرمن كوب الالماني شيئاً من خلاصة هذه الكتب ولكن برتلو لم يكتفِ بذلك بل جمع نسخها المختلفة وقابل بينها وترجمها وطبع بعضها بلغاتها الاصلية مع ترجمتها ولم يتمكن من ذلك الاّ بمساعدة الحكومة الفرنسوية ألتي عضدتهُ بالمال

ومعلوم ان في قراءة كتب الخط اليونانية والعربية والسريانية واللاتينية وحل رموزها ما لا مزيد عليهِ من المشقة ولكن الاستاذ برتلو توفق إلَى الاستعانة بعلماء اعلام في هذا العمل فاستعان عَلَى قراءة القراطيس اليونانية بالمسيو ريل و بابنهِ المسيو اندره برتلو . وعَلَى قراءة الكتب العربية بالاستاذ هوداس والعالم روبنس ديڤال اللغوي السرياني وهذه الكتب الستة قسمان ثلاثة منها عن الكيماويين اليونانيين وثلاثة عن الكيمياء في القرون الوسطى

وقد استنتج من بحثهِ في كتب الكيمياء اليونانية ان مبادئ الكيمياء وُجدت في مصر اولاً وانتقلت منها الى اوربا بواسطة اليونان. وفي مكتبة ليدن قراطيس من البردي من العهد اليوناني المصري يذكر فيها كثير من الاعمال الكيماوية واحد منها وجد في مدفن من مدافن طيبة وفيهِ كلام عن المعادن وعن صنعة الذهب والفضة . ومن رأي برتلو انهُ من القرن الثالث المسيحي . وفيهِ مئة وصفة ووصفة من الوصفات الكيماوية يتلوها عشر فقرات من كتاب ديوسكوريدس . وهذه الوصفات لعمل الامزجة ألتي تصنع منها الكؤوس والآنية والصور ونحو ذلك مما يصنعهُ الصاغة . ووصفات للحم المعادن وتمويهها ووصفات اخرى لعمل الاحبار الذهبية والفضية. والكتابة كثيرة الخطإ اللغوي دلالة عَلَى ان كاتبها صانع لا عالم والقرطاس كلهُ تذكرة للصاغة الذين يريدون تقليد الذهب والفضة . وقد استنتج برتلو مما فيهِ وفي غيرهِ من الكتب الكيماوية القديمة ان الزعم باستحالة المعادن الى ذهب لم ينشأ عن اعتقاد الفلاسفة بان العناصر كلها من اصل واحد بل عن رغبة الصاغة في تمويهِ المعادن لخداع البسطاء

ومعلوم ان المعادن تسمى في كتب الكيمياء القديمة باسماء الشمس والقمر والسيارات وقد وجد برتلو ان اصل ذلك كلداني . ووجد ايضاً ان نسبة بعض المقالات الكيماوية الى

الملوك والعظماء كهرقل ويوستنيانوس وثيوفراستس وموسى الكليم انما يقصد بها تعظيمها في عيون الناس لأن هؤلاء الرجال لم يكتبوا في الكيمياء

وقد جمع برتلو في المجلدات الثلاثة الاولى ١٦٠ مؤلفًا يونانيًا في الكيمياء بين كتب ورسائل وهي مكتوبة بلغة قديمة ورموز غامضة وبعضها لا يفهم ولا يقرأ وفيها كثير من الوصفات الكيمياوية والرموز السحرية والخرافات الفلسفية واذا فسرت كلمة مبهمة من كلماتها فالتفسير يزيدها ابهامًا وكثيرًا ما يطلق الاسم الواحد على مسميات كثيرة او تطلق اسماء كثيرة على مسمى واحد . ويظهر ان مؤلفيها كانوا يعرفون كثيرًا من المعادن والاملاح والمواد الكيماوية والنباتية ولكن جهلهم للحوامض الجمادية قصر معارفهم على المواد التي تحصل بالتذويب والتقطير والتسخين . ووجد ان تسمية الاكسير بحجر الفلاسفة لم ترد قبل القرن السابع للمسيح مع ان معنى الاكسير قديم

والمجلد الاول من المجلدات الثلاثة الاخيرة موضوعهُ انتقال علوم اليونان الى اللاتين وقد انتقل العلم بواسطتين الاولى واسطة العرب الذين ورثوا علوم اليونان . فان الكتب العربية العلمية التي كانت في مكاتب اسبانيا ترجمت الى اللاتينية فاستقى منها الاوربيون علوم الطب والكيمياء والرياضيات والفلسفة ووجد برتلو في هذه الكتب فصولاً كثيرة ترجمها العرب عن كتب اليونان . ولم يتصل العلم من اليونان إلى العرب مباشرة بل بواسطة السوريين حلقة الاتصال بين اليونان والعرب وهم اول من ترجم كتب اليونان إلى اللغات الشرقية . وقد افرد المجلد الثاني من هذه المجلدات للكتب السريانية ولكن علوم اليونان لم تصل إلى الاوربيين بواسطة العرب فقط بل ان بعضها انتقل إلى الرومانيين مباشرة في ايام الدولة الرومانية وهو الواسطة الثانية ومن ذلك كتاب وصفات تاريخهُ نهاية القرن التاسع وكتاب آخر كتب قبل القرن العاشر وفيهما كلام على تلوين الحجارة الصناعية المستعملة في صناعة الفسيفساء وعلى عمل الزجاج الملوَّن وعلى صبغ الجلود بالقرمز والاخضر والاصفر والاحمر وعلى صبغ الخشب والعظم والقرن . واسماء المعادن والحجارة والاتربة التي تستعمل في الصباغة والتصوير ووصفات كثيرة لتذهيب الزجاج والخشب والجلود والثياب والمعادن والمنسوجات . وكل ذلك مكتوب بلغة وحشية لا تكاد تفهم وبعضها لم يزل في اصلهِ اليوناني ولكنهُ منسوخ بحروف لاتينية . وذكرت المعادن اولاً ثم الصموغ والبلاسم وسائر المواد النباتية ثم المواد المستخرجة من البحر كالملح والمرجان والاصداف التي يستخرج منها الارجوان . وفيها وصفة حبر للكتابة الذهبية وهي مثل وصفة مذكورة في بردي ليدن تمامًا . وهناك وصفة لعمل البرنز ومنها يعلم ان اسمهُ

مشتق من اسم مدينة برندزي بايطاليا أَلَّتي كانت مشهورة بمراياها المعدنيَّة من ايام بلينيوس

وجانب كبير من الكتاب الاول من هذين الكتابين مثبت في كتاب آخر كتب في القرن العاشر وفيهِ وصفات لعمل الذهب وتكثيرهِ وتقليدهِ وهي مثل ما في الدروج اليونانيَّة القديمة وفيهِ وصف الميزان المائي (الهيدروليكي الذي يستعمل لاستعلام الثقل النوعي) مما يدل على ان الاوربيين لم يعرفوا هٰذَا الميزان بواسطة العرب ولا يبعد ان معرفتهُ اتصلت بهم من ارخميدس رأساً

ومن اقدم الكتب اللاتينيَّة في عمل النار اليونانيَّة كتاب لمرقس غريكس من القرن الثاني عشر او الثالث عشر ولعلهُ مترجم عن العربيَّة والنسخة العربيَّة مترجمة عن اليونانيَّة . وكانت النار اليونانيَّة معروفة في القرن الثاني قبل المسيح . وقد خصص برتلو فصلاً طويلاً لاكتشاف الالكحول وقال ان هٰذَا الاسم لم يُذكر قبل اواسط القرن الرابع عشر مع ان السائل نفسهُ عُرِف قبل ذلك وكان ارسطو يعلم انهُ يتصعَّد عن الخمر اذا أُحميت مادة تقبل الالتهاب ولكن هذه المادة لم تستقطر حينئذٍ . وذكر استقطار الالكحول اولاً في كتاب من القرن الثاني عشر

ووجد برتلو ان بعض الكتب اللاتينيَّة أَلَّتي يزعم اصحابها انهم ترجموها عن العربيَّة لا اصل لها في العربيَّة ومن ذلك الكتب المنسوبة الى الطبيب العربي جابر بن حيَّان فانها كلها مصطنعة ومنسوبة اليهِ وقد كتبت بعدهُ بخمسة قرون . ونشأ جابر في القرن العاشر وألَّف كتباً كثيرةً وكتبهُ محفوظة الآن في مكتبة باريس ومكتبة ليدن ولكنها تخالف كثيراً عن الكتب المنسوبة اليهِ في اللاتينيَّة والفرنسويَّة والجرمانيَّة والانكليزيَّة

والمجلد الثاني من كتاب الكيمياء في القرون الوسطى فيهِ كلام عَلَى كتب الكيمياء السريانيَّة والعربيَّة أَلَّتي في مكتبة المتحف البريطاني ومكتبة كمبردج . ومن اهم الكتب السريانيَّة كتاب في تعليم ديوقريطس مترجم عن اليونانيَّة بين القرن السابع والتاسع والقسم الاول منهُ عن استحضار الذهب والثاني عن حجر الفلاسفة وفي باقي الفصول وصفات مختلفة للعمل بالمعادن والكبريت والانتيمون والزرنيخ . وفي الكتاب صور بعض الادوات المستعملة في الكيمياء

والمجلد الثالث مخصص لكتب الكيمياء العربيَّة ويظهر منهُ ان اوَّل من كتب في الكيمياء من العرب هو خالد بن يزيد بن معاوية من بني امية الذي توفي سنة ٧٠٨ للميلاد (سنة ٩٠ للهجرة) ويقال انهُ هو استاذ جابر بن حيان الطوسي ولم يبقَ من كتب

خالد الاَّ اسماؤُها . واشتهر جابر بعدهُ وكان لهُ شهرة واسعة عند اهالي اوربا في القرون الوسطى ونسبوا اليهِ خمس مئة رسالة وقد جمع برتلو ستًّا منها نشرت في كتابهِ بالفرنسوية ويظهر منها انهُ كان يعرف الميزان المائي وان الاجسام تتمدَّد بالحرارة وتتقلص بالبرودة ولكن ليس في هذه الرسائل اشارة الى الحوامض الجمادية ولا الى نترات الفضة (حجر جهنم) ممَّا تنسب معرفتهُ اليهِ عادةً . وممَّا هو حريٌّ بالذكر قولهُ في كتاب الرحمة " رأيت الناس يحاولون ان يصنعوا الذهب والفضة باساليب غير صحيحة فعلمت انهم ينقسمون الى قسمين خادع ومخدوع فشفقت عليهما كليهما "

وفي هذه المجلدات الستة ٢٦٠٠ صفحة كبيرة جامعة لفوائد لا تحصى ولا يمكن تلخيصها. وقد نشر برتلو كتابين آخرين الاول في اصل الكيمياء طبعهُ سنة ١٨٨٥ والثاني في كيمياء العصور الوسطى طبعهُ سنة ١٨٨٩ وهما مكتوبان بلغة سلسة وموضحان بصور كثيرة

الداء الزهري وعلاجهُ

لحضرة الدكتور وديع برباري

الدرجة الثالثة . تكلمت في الجزء الماضي على تاريخ الزهري وعلَى الدرجة الاولى والثانية منهُ ووعدت بيسط الكلام في هٰذَا الجزء عَلَى الدرجة الثالثة وانجازًا لذلك اقول

تمتاز هذه الدرجة بان افرازاتها غير معدية فلا يعدى بها المريض نفسهُ ولا تنتقل العدوى منهُ إلَى غيرهِ كأن لم يبقَ في جسمهِ من ميكروب الزهري سوى سمهِ. وتمتدُّ نتائجها إلَى ما تحت الجلد والاقسام الداخليَّة من الجسد ويصحبها بعض الاعراض الجلديَّة . ومن خصائص هذه الدرجة تكوينناميات جديدة ليفيَّة صلبة تؤلم عند جسها ثم تحول الى ورم صمغي قابل للتقرح والتقيح فتظهر عَلَى سطح الجلد . وقد تظهر هذه الاورام الصمغيَّة في الدماغ فتسبب فالجًا يختلف نوعهُ باختلاف مركزها او جنونًا او داء النقطة او نحو ذلك وتظهر ايضًا في العمود الشوكي فتسبب التهابات مختلفة . ومن اعراضها آلام شديدة في الاطراف واعتقال عضلات الرقبة والظهر وقد تصيب اصل اعصاب التنفس فتصيرهُ عسرًا حتى يكاد المصاب يختنق او تصيب اعصاب البلع فيعسر ايضًا وتنتهي بفالج الاطراف . وبالاختصار قلما توجد علة عصبيَّة عواقبها مريعة ينتج عنها الشلل والعجز ولم يكن الزهري اصلها . وهذه الاورام ربما

ظهرت في الاوعية الدموية فتعل او في الكبد فتحدث التهابًا كبديًّا صمغيًا او في الطحال او في الرئة فتحدث ذات الرئة الزهرية او الاورام اللحمية وربما ظهرت اعراض غيرها وذهبت بالحياة وتظهر ايضاً بهيئات ادواء مختلفة في الرحم فتحدث العقم وفي القلب واغشيته والكليتين والمعدة والامعاء فتسبب آلامًا لا يخفف عذابها الاَّ الموت

ومن اعراض هذه الدرجة ايضاً علل العظم الزهرية وتبتدئ بالتهاب السمحاق ويمتد الى العظام فيميتها ويحصل التسويس والقروح الناتجة عنهُ. وقد تظهر اورام صمغية بين السمحاق والعظم كما على الساعد فتظهر بالجس كادران تنتهي بالتقرح احيانًا او تتضخم العظام وتنمو عليها اورام عظمية وهي الاعراض التي تبقى على العظام الوفًا من السنين. وليس من الناس من لم يرَ مصابًا ارنبة انفهِ زائلة نتيجة تقرح وتسويس عظام الانف فانها من خصائص هذه العلة وهي اصدق علامة لهذا الداء ولكي لا يطول بنا الشرح اذكر ما بقي من الاعراض بالاختصار

(١) تقرحات جلدية ومنها الاريثما والبسورياسيس وادران تنتهي بالتقرح واصباغ تظهر تحت الجلد وآكلات زهرية وهيئة القروح شبيهة بنعل الفرس وهي سريعة الامتداد (٢) تقرحات عميقة في الحلق والحنجرة فتمتد وتأكل الانسجة حتى ربما افنتها وقد تشفى وتترك تضييقاً ربما ذهب بالحياة لصعوبة التنفس والبلع (٣) تصلب اللسان وتضخمهُ وتقرحهُ (٤) التهاب الاكياس الزلالية. (٥) ما يصيب العين من التهاب القزحية والمشيمية والشبكية واغلبهُ ينتهي بالعمى وربما ظهرت هذه الاعراض في الدرجة الثانية. (٦) الطرش (٧) فقد حاسة الشم (٨) تأثر حاسة الذوق. ناهيك عن الرائحة الخصوصية الكريهة التي تصعد من جسم المصاب

هذه اعراض الزهري الاكتسابي لم اذكر منها الاَّ النزر القليل ولم اصف من ويلاتها سوى جزء من الف

النوع الثاني وهو الوراثي

اذا كان الزهري وراثيًّا ظهرت في الطفل اعراض الدرجة الثانية فان سم المرض يدبُّ في جسمهِ حالما تدب فيهِ الحياة. وقد يلدُ الطفل صحيحًا وتنتقل اليهِ العدوى من والدتهِ بعد الولادة او من مرضعتهِ وفي هذه الاحوال يكون المرض اكتسابيًا ويبتدئ من الدرجة الاولى

ولم يقرر الاطباء بعد كيفية انتقال هذا المرض بالوراثة ومن المحتمل انهُ ينتقل من الاب مع ان بعضهم يرتاب في ذلك. اما انتقالهُ من الام فامر مؤكد فان الولد جزء من جسمها وطبيعي ان هذا الجزء يتبع الكل في صحتهِ ومرضهِ. وقد يسبب الزهري اسقاط الحمل والعقم

ويبتدئ الزهري الوراثي في الولد قبل ولادتهِ فيلد وعليهِ نفاطٌ اريثيمي او فقاعي . ويحدث غالبًا ان الولد يولد بصحة جيدة ثم بعد مضي ايام قليلة يبتدئ الضعف فيهِ ويصير منظرهُ كالعجائز ويستولي عليهِ الشخير نتيجة قروح في انفهِ وتظهر عليهِ نفاطات جلدية ويلتهب فمهُ وتظهر فيهِ بقع مخاطية . واذا كان النفاط شديدًا توفي رغمًا عن العلاج . واذا شفي هذا النفاط فقد يظهر فعل السم في العظام والعينين وبعد سنين قد تظهر ادران وقروح زهريَّة في الجلد وتتغير هيئة الاسنان تغيرًا خاصًّا بهذا المرض وهذا من اصدق الدلائل عليهِ

العلاج

علاج الشانكرويد — تغسل القرحة صباحًا ومساء بالغسول الاسود المركب من كالومل ٤ غرامات وماء الجير ٤٨٠ غرامًا . او الغسول الاصفر المركب من السليماني غرامين وماء الجير ٤٨٠ غرامًا ويرش عليها مسحوق اليودوفورم والكالومل اجزاء متساوية . ويحسن كيها بالحامض النتريك المدخن ثلاث مرات في الاسبوع ولا داعي لشرب الادوية . وتعالج البوبو بمرهم الزيبق وخلاصة البلادونا اجزاء متساوية واذا حدث تقيح لزم فتحها

اما علاج الزهري فيختلف حسب اختلاف الدرجات ففي الدرجة الاولى تغسل القرحة بالغسول الاصفر المذكور آنفًا ويرش عليها مسحوق اليودوفورم والكالومل ومدة هذه الدرجة يستعمل الزيبق فقط شربًا ويضاف اليهِ قليل من الافيون او البلادونا لمنع سيلان اللعاب ومن احسن ما يستعمل من استحضارات الزيبق السليماني ويودور الزيبق والحب الازرق ويستعمل البعض الزيبق تبخيرًا او حقنًا تحت الجلد

اما الدرجة الثانية فتعالج بما يسمى العلاج المختلط اي بالزيبق ويودور البوتاس وذلك خاص بالطبيب وتحسن كل الاعراض متى فعل الزئبق بالجسم . ويجب ان لا يكون العلاج متواصلاً بل يقطع مرةً بعد اخرى ويعطى المصاب المقويات في تلك الفترات كالحديد والكينا والاستركنين والزرنيخ والصبغات المرة . اما في الدرجة الثالثة فلا داعي للزئبق بل يعطى يودور البوتاس فقط مع شراب العشبة . وتلاحظ صحتهُ من حيث النظافة والاكل المغذي والرياضة وترويح النفس ولا غنى عن الطبيب في كل حالٍ من الاحوال

هذه بالاختصار انواع الزهري المختلفة وعلاجها . ولو اردنا وصفها بالتفصيل لضاق بنا المقام وحسبنا ان نقول ان هذا الداء من اصعب الادواء مراسًا ان لم يكن اصعبها واخبثها واطولها مدةً . وتأثيرهُ يدوم مدى الحياة وينتقل بالوراثة . والعدوى بهِ سهلة ونتائجهُ وخيمة جدًّا منها العمى والطرش والفالج والجنون كما تقدم والتشويه المريع وابتعاد الناس عن المصاب وهزؤهم بهِ كل هذه الويلات يجلبها الانسان على نفسهِ اختيارًا باذلاً المال والنفس في سبيلها

جول سيمون

لجناب الامير امين ارسلان

اسعدني الحظ فاجتمعت بهذا الرجل العظيم في المدة الاخيرة من حياتهِ ولم يخطر ببالي ان الدهر الخؤُون يضطرني بعد ايام الى كتابة تاريخ حياتهِ ألَّتي قضاها بين المحابر والاقلام إلَى آخر نسمة منها فانار العالم بمشكاة علمهِ وفضلهِ وآدابهِ ومات موت الجندي في حومة النضال والجدال

ولما ودعتهُ بعد زيارتي اياهُ قلت لهُ ايها الاستاذ الفاضل ان من عوائدنا في الشرق تقبيل ايدي علمائنا وامرائنا احتراماً واكراماً فاسمح لي بتقبيل يدك · فنظر اليَّ باسماً وقال ولكني لست اميرًا قلت انك امير العلم والادب ثم انحنيت فقبلت يدًا كريمةً خدمت نوع الانسان خمسين سنة بيراع العلم والادب · اما الآن فقد خبت نار تلك الروح الشريفة ألَّتي دبَّت في ارحب صدر فقلدت صاحبها اسمى المناصب وكلَّت تلك اليد التي هدت العالم بما خطتهُ من المبادىء الجليلة والافكار السامية من علم وفلسفة وادب وسياسة وتلعثم ذلك اللسان الذي طالما خلب الالباب بسحر بيانهِ وفصيح كلامهِ وفقدت فرنسا ابناً من اعظم ابنائها ورجلاً من خيرة رجالها. ولد فقيرًا ومات فقيرًا مع تسنمهِ اسمى المناصب واتبع المثل المشهور "الاسم الحسن خير من المال المجموع" وقد شبع من الايام فذهب مبكيًا ومأسوفًا عليهِ

وقد كانت ولادتهُ في لوريان في ٣٠ دسمبر عام ١٨١٤ حيث تلقى علومهُ الابتدائية وظهرت نجابتهُ منذ نعومة اظفارهِ وفاق رفاقهُ في صفهِ ولكنهُ كان فقيرًا جدًا حتى لم يستطع دفع اجرة التعلم في المدرسة وهي ٢٥ فرنكاً فكان يعلم بعض رفاقهِ باجرة زهيدةٍ ويدرس في كتبهم ويعيش بالتقتير . وفي آخر السنة حاز السبق عَلَى اقرانهِ فنقدتهُ عمدة المدرسة ٢٠٠ فرنك جزاء اجتهادهِ فدفع منها اجرة غرفتهِ واشترى كساء يقيهِ البرد وحذاء وبعض الكتب

ولما اكمل علومهُ عُيِّن استاذًا في مدرسة رين سنة ١٨٣٢ واخذ ينتقل من مدرسة إلَى اخرى حتى استدعاهُ استاذهُ القديم فيكتور كوزين الفيلسوف المشهور فعينهُ معاونًا لهُ في التدريس ثم خلفهُ في مدرسة السوربون ولكن راتبهُ كان قليلاً جدًا فلم يكفِ لسد حاجتهِ فعزم على الكتابة ليعيش من "شق تلك القصبة" وكان ذلك اول دخولهِ في الصحافة فكتب

الَى " مجلة العالمين المشهورة " مقالة عن " مدرسة الاسكندرية القديمة " ولما فرغ من كتابتها ذهب الى ادارة الجريدة فلم يجسر ان يقابل رئيس تحريرها بل ألقى مقالتهُ في صندوق الجرائد وذهب في سبيلهِ . وبعد ثلاثة اسابيع ارسلت المسودة اليهِ ففرح فرحاً عظيماً وخف إلَى الادارة ليقبض اجرة مقالتهِ واملِ انهُ يتمكن في ذلك المساء من تناول طعامهِ في احد المطاعم ولكن ساء فألهُ وعلم لما اتى الادارة انهم لا يدفعون اجرة المقالة الاولى

وبقي تسع سنوات بين التعليم والتأليف والكتابة حتى حدثت ثورة ١٨٤٨ فانتخب نائباً عن مقاطعة الشمال وجلس بين الاحرار واهتم بسن القوانين لاصلاح التعليم وسائر الفنون . واعيد انتخابهُ عام ١٨٦٣ باكثرية عظيمة فعمل اجل الاعمال و بعد صيتهُ في السياسة . و بقي مع ذلك مكبًّا على التآليف الفلسفيَّة والادبيَّة إلَى سنة ١٨٧٠ وحينئذٍ عارض محاربة بروسيا كثيرًا وايد المسيو تيبرس ولم ينجح ولما انكسرت الجنود الفرنسوية وسقطت الامبراطورية الثانية انتخب عضوًا في حكومة الدفاع الوطني وعين وزيرًا للمعارف العموميَّة فاصلح التعليم اصلاحاً تضرب بهِ الامثال إلَى الآن . ولما انتخب المسيو تيبرس رئيساً للجمهورية ابقاهُ في وزارة المعارف مدة رئاستهِ كلها وشهد لهُ بانهُ كان اسرع الوزراء حلاًّ للمشاكل العويصة . وقاوم الساعين في اعادة الملكيَّة الى فرنسا مقاومة شديدة عام ١٨٧٣

وانتخب في ١٢ دسمبر ١٨٧٥ عضوًا في مجلس الشيوخ طول حياتهِ وانتخب في ذلك اليوم ايضاً في الاكادمي الفرنسوية وتولى ادارة جريدة السياكل فساعد على توطيد اركان الجمهورية . وسنة ١٨٧٦ كلفهُ المرشال مكماهون ان يتولى رئاسة الوزارة فقبلها مع وزارة الداخليَّة وصرح بان مبادئهُ ستكون جمهورية محضة وخطتهُ خطة المحافظين ولكن اشتدَّ الخلاف السياسي بينهُ وبين المرشال مكماهون فاستعفى واعتزل الاحكام منذ ذلك الحين وعاد الى التأليف ومكاتبة الجرائد الكبيرة وتآليفهُ كثيرة جدًّا اكثرها في الفلسفة والادب والتاريخ

ولما عقد الامبراطور ولهلم الثاني المؤتمر العام في برلين للبحث في تحسين احوال العمال كان المسيو جول سيمون رئيس وفد فرنسا فبالغ الامبراطور في اكرامهِ والاحتفاء بهِ ولا غروَ فالفضل يعرفهُ ذووهُ واكد لهُ في ذلك الحين ميلهُ الى السلم فكتب جول سيمون مقالة لطيفة طويلة عن الامبراطور غليوم

وكان رئيساً لجمعيات كثيرة مفيدة وقلما كان يمرُّ يومٌ لا يرئس فيهِ جلسة لبعض الجمعيات وقلما فاتتهُ جلسة في الاكادمي وانتخب عضوًا في عمدة تاليف قاموسها فقبل ذلك فوق شغلهِ الكثير وكان من عام ١٨٦٢ عضوًا في اكادمي العلوم الادبيَّة والسياسيَّة وكاتم اسرارها

ومن غريب ما يحكى عنهُ انهُ كان يكتب كل يوم مقالة في موضوع مختلف و يبعثها الى الجرائد الكبيرة . واغرب من ذلك انهُ بقي الى ساعة وفاتهِ فقيرًا يعتمد عَلَى الكتابة في معيشتهِ وهٰذَا اعظم دليل على نزاهتهِ وعفتهِ مما جعل اعداءهُ يحترمونهُ و يجلون مقامهُ

وقد مات في الحادية والثمانين من عمرهِ وهو صحيح الجسم الَّا انهُ أُصيب بالكتركتا (الماء الازرق) في العام الماضي فلم يستطع الكتابة بعد ذلك بل كان يملي مقالاتهِ املاء . وقبل وفاتهِ بثلاثة ايام قرأت مقالة لهُ في " البتي مرسلييه ". و يقول الاطباء ان سبب وفاتهِ اجهادهُ قواهُ في الشغل . وقد بدأت رسائل التعزية ترد من جميع اقطار العالم وكان امبراطور المانيا في مقدمة المعزين فكتب إِلَى رئيس الجمهوريَّة الرسالة الآتية — ان فرنسا تبكي من جديد عَلَى قبر رجل من ابنائها العظام . فقد مات جول سيمون وسأبقى كل حياتي ذاكرًا لطفهُ في الايام التي ساعدني فيها عَلَى تحسين احوال العمال واني بكل اخلاص اشاركم يا حضرة الرئيس في الاسف عليهِ — ولهلم

وخلاصة القول ان حياة هٰذَا الرجل العظيم تستحق ان تدوَّن بماء الذهب تخليدًا لذكرهِ ليقتدي بهِ طلاب العلم والادب فما اسعد البلاد الَّتِي يقوم فيها مثل هٰذَا الفاضل وما اطهر الارض التي تضم ترابهُ . وكانت وفاتهُ امس صباحًا

باريس في ٩ يونيو (حزيران

السماني او السلوى

مَن صاف في رأس البر بالقرب من دمياط رأى اساليب الناس في صيد هٰذَا الطائر الذي يسمونهُ سمّنًا فانهم ينصبون لهُ شباكًا بعضها ضيق الخروب و بعضها واسعها يقيمونها حاجزًا في طريقهِ من البحر الى مئات من الامتار فيأتي فجرًا و يصدم الشبكة الضيقة الخروب و يدخل بها من خرب الشبكة الثانية فيقع كانهُ في كيس يتعذَّر عليهِ الخروج منهُ . او يبنون لهُ عشاشًا صغيرة من الحلفاء عَلَى شاطئ البحر فيدخلها ليختبئ فيها من حر النهار ولا يعلم ان الناس لهُ بالمرصاد فيصطادونهُ عَلَى اسهل سبيل . وميعاد ورودهِ الى هٰذَا القطر اشهر الخريف يقطع من البلدان الشماليَّة الباردة الى هٰذَا القطر وما جاورهُ من الاقطار الاستوائيَّة يقيم فصل

الشتاء ثم يرجع في الربيع الى البلاد الباردة وهلمَّ جرًّا. وهو يأتي ويذهب اسرابًا كبيرة جدًّا فتصطاد منهُ الالوف في كل البلدن عَلَى سواحل بحر الروم ويقال انهُ جيء الى مدينة رومية بسبعة عشر الفًا منهُ في يوم واحد. وصيد في خليج نابلي مئة وستون الفًا في فصل واحد وصيد بقرب نتونو مئة الف في يوم واحد

والمرجح ان السماني هي السلوى المذكورة في خبر بني اسرائيل ان الله انزلها عليهم طعامًا لهم وهي من عائلة الحجل ومن اصغر انواعهِ وتشبههُ منظرًا كما ترى وتكثر في كل الاماكن الحارَّة والمعتدلة. وتطير بسرعة فائقة وتقطع مسافات طويلة في طيرانها وطعامها الحشرات والبزور وهي تفتش عنهُ في المساء وقد يكون للذكر زوجة واحدة وقد يكون لهُ زوجات كثيرة. وتبني الانثى



عشها من الهشيم وتبيض فيهِ سبع بيضات الى اربع عشرة بيضة وبيضها اسمر اللون مرقط برقط سوداء. وتبلغ فراخها اشدها في اسبوعين وقد تبيض مرتين في الفصل

وكلام كتَّاب العرب في هذا الطائر موجز جدًّا قال الدميري السُّماني بضم السين وفتح النون اسم لطائر يلبد بالارض ولا يكاد يطير الَّا ان يطار . ويسمى قتيل الرعد من اجل انهُ اذا سمع الرعد مات. وهو من الطيور القواطع ولا يدرى من اين يأتي حتى ان بعض الناس يقول انهُ يخرج من البحر المالح فانهُ يرى طائرًا عليهِ . وقال في السلوى قال القزويني وابن البيطار انهُ السماني وقال غيرهما انهُ طائر قريب من السماني . وهو طائر يعيش دهرهُ في قلب اللجة وهو الذي انزلهُ الله تعالى عَلَى بني اسرائيل عَلَى القول المشهور . انتهى

المناظرة والمراسلة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ارتقاء المحاكم الاهليَّة

استاذيَّ الدكتورين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

بينما كنت اجني من رياض مقتطفكم الزاهر ثمار الفرائد اليانعة عثرت في الجزء الخامس منهُ على اقتراح لمستفيد فاضل يطلب من ارباب القضاء تعليل ما يقولونهُ من ان ازدياد القضايا دليل على ارتقاء المحاكم وازدياد ثقة الناس بها فاتيت ببعض الادلة لتقرير هذه الحقيقة مقتصراً في بحثي الآن على القضايا الحقوقيَّة اما القضايا الجنائيَّة فلها مبحث آخر لا اتعرَّض لهُ في هذه العجالة

كانت المحاكم الاهليَّة في بدء نشأتها بين قوتين يتنازعانها الوجود فكان اصحاب الدعاوى من الاهالي يتنازلون عن حقوقهم للاجانب لرفعها الى المحاكم المختلطة وكان اكثر ارباب السندات يطالبون بحقوقهم امام المحاكم الشرعيَّة لما كانوا يرونهُ من سرعة انجاز القضايا فيها. ودام ذلك كذلك الى ان ترعرعت المحاكم الاهليَّة واخذت تخطو في سبيل التقدم فجعل الاهالي يثقون بها ثم ازدادت ثقتهم فاخذوا يعدلون عن رفع قضاياهم الى المحاكم الشرعيَّة ويرفعونها الى المحاكم الاهليَّة وزاد ذلك بتقدم المحاكم الاهليَّة وازدياد ثقة الاهالي بها. والذين كانوا يتنازلون عن حقوقهم للاجانب بقصد رفع دعاويهم الى المحاكم المختلطة عدلوا عن ذلك فازداد عدد القضايا التي ترفع الى المحاكم الاهليَّة وسيزداد سنةً بعد سنةٍ بازدياد تقدمها لان الاهالي علموا بوجود سلطة سهلة المورد تنصفهم ممن يعتدون عليهم وتردُّ لهم حقوقهم ممن يغتصبونها فوثقوا بها واخذوا يرفعون اليها ظلاماتهم . وان قيل ما هو الدليل على ان كل القضايا التي ترفع الى المحاكم او معظمها من هذا القبيل ولماذا لا يكون معظمها خصومات

مبتدعة قلت ان الدليل عَلَى ذلك هو ان الجانب الاعظم من الدعاوى التي يحكم بها قطعياً يكون الحكم فيها باحقيَّة دعوى المدعين لا المدَّعى عليهم

فقد اتضح من احصاء القضايا ألَّتي حكم بها في محكمة الزقازيق الكليَّة مثلاً سنة ٩٥ انهُ حكم بقبول دعوى المدعي في ١٨٧ قضيَّة وبرفض الدعوى في ٥٩ قضيَّة فقط. ويظهر من كشف القضايا التي حكم بها في محكمة الزقازيق الجزئيَّة في المدة التي ابتداؤُها اول يناير وآخرها ٣٠ ابريل سنة ١٨٩٦ انهُ حكم باحقيَّة دعوى المدعي في ٥١٠ قضايا وبرفضها في ٣٢ قضيَّة فقط

ويرى من ذلك كلهِ ان ازدياد عدد القضايا دليل على تقدم المحاكم وازدياد ثقة الناس بها وانهُ ليس ناتجاً عن ازدياد الخصومات وهو دليل ايضاً على ازدياد العمران اذ ان ازدياد عدد القضايا يكون من ازدياد المعاملات بين الرعيَّة وانتشار التجارة وازدياد موارد الثروة لان البلاد التي يكثر عمرانها ينتظم قضاؤُها ويزيد عدد قضاياها عما دونها من البلاد ثروةً وعمراناً والله اعلم

في ٢٢ مايو يوسف زحلوط

كثرة الدعاوى واسبابها

حضر منشئي المقتطف الفاضلين

سأل سائل في مقتطف مايو الماضي السؤَال الآتي

" يقول ارباب القضاء ان ازدياد القضايا (الدعاوى) ألَّتي ترفع الى المحاكم دليل عَلَى ارتقاء المحاكم وازدياد ثقة الناس بها فكيف يعلل ذلك ولماذا لا يكون ازدياد القضايا دليلاً عَلَى ازدياد الخصومات "

واجاب عَلَى هٰذَا السؤَال حضرة نحاس افندي بالاسكندريَّة مؤيدًا الوجه الايجابي وهو ان السبب في ازدياد القضايا ألَّتي ترفع إِلَى المحاكم انما هو الثقة بالمحاكم لا ازدياد الخصومات وعلل ذلك تعليلاً جميلاً

وقد تراءى لي انا ايضاً ان اجيب عَلَى هٰذَا السؤَال بتوسع اكثر وان اوضح الاسباب الحقيقيَّة لازدياد الدعاوي متخذًا المحاكم الاهليَّة بمصر مقياساً لذلك فاقول

قد تزيد الدعاوى بزيادة الخصومات ولكنها تزيد اكثر بسبب القضاء وليست ثقة الناس بعدالة المحاكم هي السبب الوحيد لزيادة الدعاوى بل ان لذلك اسباباً اخرى تجتمع كلها تحت جامع "تسهيل التقاضي" وهو السبب الاكبر بل السبب الوحيد لكثرة القضايا في مصر

فاما ان زيادة القضايا عندنا ليست ناتجة عن زيادة الخصومات فيتضح مما يأتي

اولاً . ان الخصومات تنتج عن المعاملات والمعاملات في مصر على نسبة واحدة بين الزمن الذي كانت القضايا فيهِ قليلة و بين الزمن الذي صارت فيهِ كثيرة ولا دليل تجاري يدل على وجود فرق بين الزمنين . ولما كانت الخصومات على ما رأيت وجب ان تكون الدعاوى مناسبةً لها لا بل يقتضي ان تكون الدعاوي اقل في الزمن الاخير الذي ظهرت فيهِ اكثر لانهُ كلما مرَّ الزمان على القانون زادت الناس علماً باحكامهِ وكلما زادت علماً بهِ صارت اكثر احتياطاً بربط المعاملات برُبط قانونيَّة تكون نافية او مقللة لاسباب النزاع في المستقبل اذ ان كل انسان يكره النزاع بالطبع ولا يأتيهِ الاَّ مضطرّاً لما فيهِ من الخسارة والعناء

ثانياً ان كميَّة الدعاوي المرفوعة الى المحاكم ليست بقياس لكميَّة الخصومات بين الناس لانهُ ليس كل خصومة ترفع الى القضاء فبعضها يرفع و بعضها يترك اما لعجز عن التقاضي واما لطمع بفصلها بين الخصوم بالطرق الودية او بالصلح وهٰذا البعض الذي يظهر في المحاكم انما يكثر او يقل على نسبة الاسباب التي يوجدها القضاء لظهورهِ او لخفائهِ . ولنأخذ مثالاً لذلك الدعاوي التي ترفع على مستخدمي الحكومة فان معاملات المستخدمين مع بقية الناس من حيث الاخذ والعطاء يقتضي ان تكون واحدة في كل وقت لانها مبنية على لوازم معيشتهم وهو امر ضروري لا بد منهُ ولا تأثير للزمان فيهِ و بهذه المثابة يكون ما ينتج عن المعاملات من الخصومات على نسبة واحدة لكن بعد ان صدر الامر العالي في ٢٦ فبراير سنة ١٨٩٠ بمنع الحجز على رواتب المستخدمين ومعاشاتهم هبطت الدعاوي عليهم من اعظم مقدار الى ادناهُ وذلك لان غاية الدعوى التنفيذ ولما كان اقرب واهم ما يمكن التنفيذ عليهِ عندهم هو رواتبهم وهذه صارت ممتنعة فلم يعد من الدعاوى فائدة الاَّ اذا كان للمستخدم اموال اخرى يمكن التنفيذ عليها وهٰذا قليل . نعم ان الناس صارت تتجنب وقوع المخاصمات مع المستخدمين ما امكن لكن هٰذا قليل جداً ولو اباحت الحكومة الآن الحجز على رواتب مستخدميها لملأَت الدعاوى عليهم المحاكم

ولنبحث الآن في مسألة " تسهيل التقاضي " واركانهِ الموجبة لكثرة القضايا . اما هذه الاركان فهي

اولاً العدالة . وهي اكبر الاسباب لايجاد الثقة في نفوس المتداعين فان المدعي اذا لم يكن على ثقة من عدالة القاضي لا يعرض نفسهُ لخسارة النفقات والاتعاب ثم يرجع بخفي حنين بل يترك حقهُ يضيع و يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ولذلك كانت العدالة تلجئهُ الى

مبتدعة قلت ان الدليل عَلَى ذلك هو ان الجانب الاعظم من الدعاوى التي يحكم بها قطعيًّا يكون الحكم فيها باحقيَّة دعوى المدعين لا المدَّعى عليهم

فقد اتضح من احصاء القضايا ٱلَّتِي حكم بها في محكمة الزقازيق الكليَّة مثلاً سنة ٩٥ انهُ حكم بقبول دعوى المدعي في ١٨٧ قضيَّة وبرفض الدعوى في ٥٩ قضيَّة فقط . ويظهر من كشف القضايا التي حكم بها في محكمة الزقازيق الجزئيَّة في المدة التي ابتداؤُها اول يناير وآخرها ٣٠ ابريل سنة ١٨٩٦ انهُ حكم باحقيَّة دعوى المدعي في ٥١٠ قضايا وبرفضها في ٣٢ قضيَّة فقط

ويرى من ذلك كلهِ ان ازدياد عدد القضايا دليل على تقدم المحاكم وازدياد ثقة الناس بها وانهُ ليس ناتجًا عن ازدياد الخصومات وهو دليل ايضًا على ازدياد العمران اذ ان ازدياد عدد القضايا يكون من ازدياد المعاملات بين الرعيَّة وانتشار التجارة وازدياد موارد الثروة لان البلاد التي يكثر عمرانها ينتظم قضاؤُها ويزيد عدد قضاياها عما دونها من البلاد ثروةً وعمرانًا والله اعلم

في ٢٢ مايو يوسف زحلوط

كثرة الدعاوى واسبابها

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

سأل سائل في مقتطف مايو الماضي السؤَال الآتي

" يقول ارباب القضاء ان ازدياد القضايا (الدعاوى) ٱلَّتِي ترفع الى المحاكم دليل عَلَى ارتقاء المحاكم وازدياد ثقة الناس بها فكيف يعلل ذلك ولماذا لا يكون ازدياد القضايا دليلاً عَلَى ازدياد الخصومات "

واجاب عَلَى هٰذَا السؤَال حضرة نحاس افندي بالاسكندرية مؤَيدًا الوجه الايجابي وهو ان السبب في ازدياد القضايا ٱلَّتِي ترفع إِلَى المحاكم انما هو الثقة بالمحاكم لا ازدياد الخصومات وعلل ذلك تعليلاً جميلاً

وقد تراءى لي انا ايضًا ان اجيب عَلَى هٰذَا السؤَال بتوسع اكثر وان اوضح الاسباب الحقيقيَّة لازدياد الدعاوي متخذًا المحاكم الاهليَّة بمصر مقياسًا لذلك فاقول

قد تزيد الدعاوى بزيادة الخصومات ولكنها تزيد اكثر بسبب القضاء وليست ثقة الناس بعدالة المحاكم هي السبب الوحيد لزيادة الدعاوى بل ان لذلك اسبابًا اخرى تجتمع كلها تحت جامع "تسهيل التقاضي" وهو السبب الاكبر بل السبب الوحيد لكثرة القضايا في مصر

فاما ان زيادة القضايا عندنا ليست ناتجة عن زيادة الخصومات فيتضح مما ياتي

اولاً . ان الخصومات تنتج عن المعاملات والمعاملات في مصر على نسبة واحدة بين الزمن الذي كانت القضايا فيهِ قليلة وبين الزمن الذي صارت فيهِ كثيرة ولا دليل تجاري يدل على وجود فرق بين الزمنين . ولما كانت الخصومات على ما رأيت وجب ان تكون الدعاوى متناسبة هذا لا بل يقتضي ان تكون الدعاوي قل في الزمن الاخير الذي ظهرت فيهِ كثيرة لانهُ كلما مرّ الزمن على القانون زادت الناس علماً بحكامهِ وكلما زادت علماً بهِ صارت اكثر احتياطاً بربط المعاملات بروابط قانونية تكون دقيقة ومقفلة لاسباب النزاع في المستقبل اذ ان كل انسان يكره النزاع بالطبع ولا يأتيهِ الاّ مضطراً لما فيهِ من الخسارة والعناء

ثانياً ان كمية الدعاوي المرفوعة الى المحاكم ليست بقياس لكمية الخصومات بين الناس لانهُ ليس كل خصومة ترفع الى القضاء فبعضها يرفع وبعضها يترك اما لعجز عن التقاضي واما لحسم بعضها بين الخصوم بالطرق الودية او بالصلح وهذا البعض الذي يظهر في المحاكم قد يكثر او يقل على نسبة الاسباب التي يجعلها القضاء لظهورهِ او خفائهِ . ولنأخذ مثلاً لذلك الدعاوي التي ترفع على مستخدمي الحكومة فان معاملات المستخدمين مع بقية الناس من حيث الاخذ والعطاء يقتضي ان تكون واحدة في كل وقت لانها مبنية على لوازم معيشتهم وهو مرضيوي لا بد منهُ ولا تأثير للزمان فيهِ وبهذه النسبة يكون ما ينتج عن المعاملات من الخصومات على نسبة واحدة لكن بعد ان صدر الامر العالي في ٢٦ فبراير سنة ١٨٩٠ بمنع الحجز على رواتب المستخدمين ومعاشاتهم هبطت الدعاوي عليهم من اعظم مقدار الى ادناهُ وذلك لان غاية المدعي التنفيذ وما كان اقرب واهم ما يمكن التنفيذ عليهِ عندهم هو رواتبهم وهذه صارت ممنوعة فلم يعد من الدعاوى قائمة الاّ اذا كان للمستخدم اموال اخرى يمكن التنفيذ عليها وهذا قليل . نعم ان الناس صارت تتجنب وقوع المخاصمات مع المستخدمين ما امكن لكن هذا قليل جداً ولو اباحت الحكومة الآن الحجز على رواتب مستخدميها لملأت الدعاوى عليهم المحاكم

ونبحث الآن في مسألة "تسهيل التقاضي" واركانهِ الموجبة لكثرة القضايا . اما هذه الاركان فهي

اولاً العدالة . وهي اكبر الاسباب لايجاد الثقة في نفوس المتداعين فان المدعي اذا لم يكن على ثقة من عدالة القاضي لا يعرض نفسهُ لخسارة النفقات والاتعاب ثم يرجع بخفي حنين بل يترك حقهُ يضيع ويقول حسبنا الله ونعم الوكيل ولذلك كانت العدالة نتيجةً الى

القضاء عند اقل خصام عالماً انها تنيلهُ حقهُ بالتمام

وتظهر العدالة في الاحكام من رضا المتخاصمين بها لهم او عليهم ومن حكم الدرجة القضائيَّة العليا فيها بالعدالة او بالشطط فتمحص بهذين الامرين تمحيصين تمحيص المتقاضين وتمحيص القضاء

واذا راجعنا التقارير الاحصائيَّة السنويَّة عن اعمال المحاكم الاهليَّة وجدنا ان ما استؤنف في السنين الاخيرة من احكام المحاكم الجزئيَّة الحقوقيَّة القابلة الاستئناف كان بنسبة ١ من ٨ وهٰذا دليل كبير على اقتناع المتداعين بعدالة الاحكام والاَّ لكانوا استأنفوا معظمها لان باب الاستئناف مفتوح لديهم. ثم ان هٰذا الثمن المستأنف عن الاحكام كان يحكم استئنافياً بتأييد ثلثيهِ. وثلث الثمن الباقي ثلاثة ارباعهِ تعدل وربعهُ يلغى. ومن ذلك يظهر ان القضاء قد ترقى من حيثيَّة العدالة الى احسن درجة يوثق بها والاحصاء يدل عَلَى انهُ كان مخالفاً لذلك فيما سبق من حيثيَّة كثرة الاحكام المستأنفة وكثرة التعديل والالغاء فيها

ثانياً كثرة المحاكم. كانت المحاكم الاهليَّة قبل سنة ١٨٨٩ في الوجه البحري فقط وكان عددها خمساً ابتدائيَّة وواحدة استئنافيَّة فاضيف اليها ثلاث ابتدائيَّة في الوجه القبلي وكان قبل انشاء المحاكم الجزئيَّة الحاضرة سنة ١٨٩٠ لكل محكمة ابتدائيَّة محكمة جزئيَّة وواحدة في مركز المحكمة الابتدائيَّة فأخذت تتدرَّج في الزيادة سنة بعد سنة حتى صارت منتشرة في جميع انحاء القطر وعددها الآن ٤١ وأنشئ محكمة مخصوصة في اصوان ومحكمتان للمخالفات في مصر واسكندريَّة وهذا تسهيل عظيم للتقاضين من حيث الانتقال وما يقتضيهِ من النفقات قد زادت القضايا بسببهِ زيادة محسوسة تدريجاً بحسب ازدياد المحاكم. ولنأخذ مثالاً لذلك المحاكم الجزئيَّة فقد كان ما نظرتهُ من القضايا الحقوقية ٨٠٠٠ سنة ١٨٩١ و١٨٢٨٥ سنة١٨٩٢ و٢٤٤٣٢سنة ١٨٩٣ و٣١٩٦٤ سنة١٨٩٤ و٤٦٣٤٥ سنة ١٨٩٥ فتأمل هذه الزيادة الناتجة عن كثرة المحاكم باجتماعها مع اسباب اخرى مما مرَّ ومما سيأتي ذكرهُ

وقد ساعد كثرة القضايا الجزئية زيادةً عَلَى كثرة محاكمها ما نالتهُ هذه المحاكم من اتساع الاختصاص الذي اخذت بهِ كثيرًا من اعمال المحاكم الابتدائية سواءٌ كان في الامور الجنائية او الحقوقية فقد كان ذلك وما سيأتي ذكرهُ من الاسباب داعياً لقلة قضاياها سنة بعد سنة على ان هذه القلة بانضمامها الى كثرة القضايا الجزئية لا تؤثر في زيادة المجموع العام بل تبقى الزيادة واضحة

ثالثاً الرسوم القضائية. ان خفة الرسوم القضائية وجسامتها سببان عظيمان لكثرة القضايا

وقلتها. ولقد توالى على المحاكم الاهلية ثلاث تعريفات للرسوم تغيرت حالة القضايا بسببها من هذه الحيثية تغيرًا ظاهرًا . مثال ذلك لائحة الرسوم الاخيرة المنشأة في آخر سنة ١٨٩٣ فان نوع طريقتها هو اخذ رسوم نسبية على قيمة الدعوى معجلاً عند رفعها وان هذه الرسوم تكون كافية لسير القضية الى حين الحكم بها وان لا يرجع منها شيء الى المدعي ربح دعواهُ او خسرها . فهذه الطريقة تجعل الرسوم قليلة متى كانت قيمة القضية قليلة وكثيرة متى كانت قيمة القضية كثيرة ولاشتراط دفعها سلفًا تكون سهلة في القضايا الصغيرة وصعبة في القضايا الكبيرة . ولما كانت طبقات الناس تتدرَّج في كثرة العدد من الادنى إلى الاعلى فيكون الفقراء اكثر عددًا ويتلوهم المستورون ثم المتوسطون ثم الميسورون ثم الاغنياء وكانت المنازعات المدنية ايضًا تتبع قيمة موضوعها قيمة اصحابها فتكون قيمتها بخسة جدًّا عند الفقراء ثم تتدرَّج في الجسامة من ادنى إلى اعلى فاعلى كانت لذلك المنازعات القليلة القيمة اكثر من غيرها تبعًا لكثرة عدد اصحابها وعلى ذلك جاءت تعريفة الرسوم الاخيرة غنيمة باردة للقضايا الصغيرة الكثيرة وضربة ثقيلة على القضايا الكبيرة ومن ثمَّ فان زيادة ٧٥٣٢ قضية جزئية في سنة ١٨٩٤ عن سنة ١٨٩٣ وزيادة ١٤٣٨١ قضية سنة ١٨٩٥ عن سنة ١٨٩٤ لا يمكننا ان ننسبها كلها إلى زيادة المحاكم الجزئية في السنة الواحدة عن السنة الاخرى بل ان قسمًا منها متعلق بلائحة الرسوم كل التعلق . ودليل ذلك هو ان القضايا الَّتي قيمتها من الف قرش فاقل ورسمها بحسب التعريفة الجديدة مائة قرش فقط كانت ٢٣٢٧٢ سنة ١٨٩٤ و ٣٥٩٦٨ سنة ١٨٩٥ ومن ذلك يظهر ان هذه القضايا في سنة ١٨٩٤ تنقص عن مجموع القضايا الجزئية في سنة ١٨٩٣ الفًا فقط اما في سنة ١٨٩٥ فتزيد عن مجموع القضايا في السنة السابقة بنحو ٣٠٠٠

ومن هٰذَا القبيل ايضًا نقصان قضايا المحاكم الابتدائية فانهُ لا يمكننا ان ننسبهُ كلهُ إلى تقليل اختصاصها بل ان للائحة المذكورة يدًا كبرى فيهِ حيث قد صعبت رفع القضايا الكلية كثيرًا . وهٰذَا الفرق يظهر من الاحصاء الآتي فان القضايا الحقوقية التي نظرتها المحاكم الابتدائية سنة ١٨٩٣ كانت ١٥٨٩ وهٰذَا عن تسعة اشهر فقط على حسب التعريفة السابقة وسنة ١٨٩٤ كانت ١٢٩٥ اي ان الفرق نحو ٣٠٠ قضية وسنة ١٨٩٥ كانت ١٢٦٨

على انهُ يمكننا ان نقول هنا ايضًا ان اللائحة الجديدة لم تؤثر في زيادة عدد القضايا اذا اعتبر المجموع العام وان كانت قد اثرت في ايراد المحاكم بالنسبة لتصعيبها رفع القضايا

الكبيرة ذات الايراد الكبير

رابعاً المحامون . وهم من اكبر المسهلات للتقاضي ولا سيما اذا كانوا كثاراً وكثرت المزاحمة بينهم نعم انهم لا يخلقون القضايا من العدم ولكن تزاحمهم يضطرهم إلى تخفيض الاجر والمباراة في انجاز العمل وهنا العامل الفعّال في تسهيل التقاضي

وهناك ايضاً اسباب اخرى مثل الفة الناس للتقاضي وتعودهم عليهِ ومثل اهتمام المحاكم بانجاز القضايا وهلمَّ جرًّا مما لا يخرج عما نحن بصددهِ . هذا ما عنَّ ذكرهُ للخاطر وفوق كل ذي علم عليم

ابرهيم جمال
المحامي

القاهرة في ٦ يونيو سنة ١٨٩٦

النمرة المقلوبة

حضرات منشئي المقتطف المنير

سأَل حضرة الاستاذ الاديب جبران افندي فوتيه عما اذا كانت قاعدة النمرة المقلوبة معروفة وسبب تسميتها بالمقلوبة . فاجيب ان قاعدة النمرة المقلوبة معروفة وهي دارجة الاستعمال في كل الحسابات الجواري في فرنسا وايطاليا وهي مؤسسة على مبدإٍ لا يصعب فهمهُ وهو ان تؤخذ الايام من ابتداء الحساب الجاري وهي تتزايد مع تصاعد التواريخ الى ما لا نهاية لهُ بنوع انهُ اذا وقع استحقاق ما بعد تاريخ توقيف الحساب فلا يحتاج الامر الى النمر الحمر بل تجمع نمر "من" وحدها ونمر "الى" وحدها ومتى كان مبلغ رصيد النمر في "من" فيوضع مبلغ فائظ الرصيد المذكور بالمعدل الجاري عليهِ الاتفاق في غروش "الى" والعكس بالعكس بلا التباس

اما السبب في هذا الانقلاب فقريب للعقل وهو انهُ لما كان مبلغ نمر "المن" مثلاً زائداً على مبلغ النمر في "الى" طبعاً وجب اضافة الفرق بين الاثنين الى "الى" لاجل تسديد الحساب وفائدة هذا الفرق عائدة بالطبع الى "من" لان زيادة النمر فيها . كذلك اذا بلغ زيادة النمر في "الى" ووجب اضافة مبلغ نمر الى نمر "من" ففائدة هذا المبلغ تجب اضافتهُ الى مبلغ الغروش في "الى" اي متى كان رصيد النمر في جهتهِ وجب اضافة فائدتهِ في عكسها واظن هذا هو السبب الوحيد والبرهان الشافي لتسميتها بالنمرة المقلوبة واذا كان عند المقترح الاديب اسباب اخرى اوضح من هذه فكلنا عيونٌ وآذان لارشاداتهِ

الاسكندرية
موريز يوسف حزان

المدرسة الصناعيَّة في صيدا

لقد كانت الصناعة ولا تزال باباً يلجهُ كثيرون للحصول عَلَى ضروريات الحياة واطايبها وسلَّماً ترتقي بهِ الحضارة وتتدرَّج المدنيَّة الى اعلى درجاتها . ولذا ترى ان كل امَّة كثرت صنائعها امتازت على غيرها تقدُّماً وفلاحاً كما يظهر من تواريخ الامم الغابرة واحوال الامم الحاضرة

ونحن السوريين كانت بلادنا راقية اسمى درجات العمران لما كانت مهداً للصنائع والفنون ثم اهملنا الصناعة واسبابها فانحطت بلادنا وتولاَّها الفقر والذل

وقد اتاح لنا الله في هذه الايام ان بعث الى بلادنا اناساً يبثون المعارف والآداب فيها وهم حضرات المرسلين الاميركيين ولم يكتفوا بتربية العقول وتهذيب الاخلاق بل نظروا الى حاجاتنا المادية واضافوا الى مدرستهم العلميَّة في صيدا مدرسة صناعيَّة لتعليم الصنائع مع العلوم وقد بدأُوا فيها من اوائل الشتاء الماضي . والصنائع ألَّتي تعلم فيها الآن هي الخياطة الافرنجيَّة وعمل الاحذية الافرنجيَّة والنجارة والبناء . وقد اختاروا لها اساتذة ماهرين في هذه الصنائع . ولما رأَوا ان الفلاحة والزراعة في تأَخر تام ولا يقلُّ افتقار البلاد اليهما عن افتقارها الى الصناعة ابتاعوا ارضاً فسيحة بجوار مدينة صيدا بخمسة آلاف ليرة ليعلموا التلامذة فيها فن الزراعة ايضاً

ولا تقتصر فوائد هذه المدرسة على اهل اليسار الذين يستطيعون ان يدفعوا نفقات ابنائهم بل تعمُّ الفقراء الذين لا يستطيعون ان يدفعوا شيئاً فتقبل قليلين منهم مجاناً على شروط معينة وتقبل ايتام الطائفة الانجيليَّة مجاناً فيتعلمون العلوم و يتروضون في المبادىء الصناعيَّة وقد قبلت حتى الآن ثمانية عشر ولداً بين يتيم ولطيم

وعسى ان يكون هٰذا المشروع اساساً لغيرهِ من المشروعات ألَّتي تزيد تقدم الوطن وتردُّ اليهِ ما كان فيهِ من الصنائع . جزى الله المحسنين خيراً

صيدا توفل اسطفان

الفضيلة عند المتقدمين والمتأَخرين

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قرأْت الخطبة البديعة ألَّتي انشأَها العالم المحقق جرجي افندي يني فرأَيت فيها اطلاعاً واسعاً وعلماً راسخاً ولكنني رأَيت شيئاً من الغرض يتخلل مبانيها فقد قال " ان فلاسفة الرومان وعلماءهم وخطباءهم المجيدين كلهم جمع رأَوا مقارعة المصارعين وشاهدوا بام العين الدماء تسيل

من جراح الساقطين وسمعوا بآذنهم انين الجرحى وحشرجة القتلى ولم يأخذهم الحنان ....
حتى كرَّت الدهور وجاءت الديانة المسيحيَّة بالفضيلة العظمى ألاَ وهي حب الله والقريب
فجاهد آباءِ الكنيسة في صدر النصرانيَّة حتى الغيت المصارعة الدمويَّة وتمت نصرة الفضيلة"

ولم اكد اتم قراءة هذه الفقرة حتى التفتُّ من كوَّة غرفتي الى الشارع الذي جرَّت فيهِ هباشيا العالمة الرياضيَّة الفلكيَّة اشهر معلمات الاسكندريَّة وكأني رأيت اوصالها مقطعة يترامى بها العبَّاد. ثم تخطَّيت القرون الوسطى وشاهدت بعين العقل فظائع ديوان التفتيش فقلت في نفسي ترى ما يريد حضرة الكاتب ان يقنعنا بهِ هل ان اولئك الآباء كانوا اقرب الى الفضيلة من فلاسفة اليونان لانهم اوتوا الفضيلة العظمى او ان ما نراهُ الآن من نموّ الفضائل عند بعض الشعوب انما هو امرٌ طبيعي لان الفضيلة جرت "مجرى ناموس الارتقاء العام ووقع الانتخاب الطبيعي عَلَى غرسها النامي فأنضر" كما قال الكاتب قبيل ذلك .

فارجو من حضرتهِ ان يبين لنا باي القولين نأخذ وعلى اي المذهبين نعتمد ولهُ الفضل

الاسكندريَّة مستفيد

بابُ الزراعة

زراعة البرتقال

ليس بين انواع الفاكهة ما لهُ تجارة اوسع من تجارة البرتقال ونحوهِ من انواع الليمون . ولا يجود البرتقال الاَّ في الاقاليم الحارَّة وما جاورها من الاقاليم المعتدلة فيضطرُ الناس ان ينقلوا اثمارهُ الى البلدان الشماليَّة حيث لا ينمو وهذا سبب اتساع تجارتهِ . وقد كان البرتقال الذي يباع في اسواق اوربا واميركا الشماليَّة يجلب كلهُ من الجزائر أَلَّتي غربي افريقية والبلدان أَلَّتي حول البحر المتوسط ولكن كثرة السفن البخاريَّة سهلت نقلهُ من جزائر الهند الغربيَّة فاتسعت تجارتهُ كثيرًا من ذلك الحين وستزيد اتساعًا عامًا فعامًا ولا سيما في الولايات المتحدة الاميركيَّة حيث السكان كثيرون والبرتقال الذي يزرع في بلادهم قليل جدًا حتى لا يصيب الشخص منهم الاَّ برتقالة واحدة في السنة . وقد بلغ ثمن البرتقال الذي ارسل الى الولايات المتحدة الاميركيَّة في تسعة اشهر نهايتها مارس الماضي ٢١١٧٠٠٠ ريال اميركي يقابلها

١٢٨٠٠٠٠ في التسعة الاشهر المقابلة لها في العام الماضي والزيادة متواصلة

ويقال ان اجود البرتقال ما يزرع في جزائر الهند الغربيَّة ولذلك اخترنا ان نصف كيفيَّة زراعتهِ فيها بالتفصيل اجابةً لسائل كريم وانجازاً لما وعدنا بهِ في الجزء الماضي في باب المسائل . وقد اعتمدنا في ما يلي على كتاب الدكتور نيكولس في زراعة البلدان الحارَّة

الارض — ينمو البرتقال ويخصب في كل الاراضي ما عدا الارض الرمليَّة ولكن يشترط في الارض ألَّتي يزرع فيها ان يكون لها مصارف طبيعيَّة او صناعيَّة واطئة حتى لا تكثر الرطوبة في قلبها وتمنع جذورهُ من التعمق فيها . ولا ينتظر ان تكون الغلة كثيرة ما لم تكن الارض كثيرة الخصب مملوءَة بالمواد النباتيَّة والحيوانيَّة المحلولة

الاقليم — ينمو البرتقال وكل انواع الليمون في المنطقة الحارَّة وما يليها من المنطقة المعتدلة. والبرتقال نفسهُ يحتمل البرد اكثر من غيرهِ من انواع الليمون ولكن ثمرهُ يقل بزيادة برد البلاد التي يزرع فيها . وخير الاقاليم لهُ الحارُّ الرطب ولا داعي لزرعهِ في اماكن ظليلة لوقايتهِ من نور الشمس والعواصف لانهُ يخصب في نور الشمس ولان جذورهُ تغور في الارض كثيراً فلا تقوى العواصف على اقتلاعهِ ولكنها تضرُّ بهِ من جهة اخرى وهي انها تسقط ازهارهُ واثمارهُ فيجب ان تحاط بساتينهُ بمنطقة من الشجر او الغاب لكي تقيهُ من عصف الرياح فليس الغرض منها تظليل البرتقال بل وقايتهُ

الزرع — يزرع البرتقال غالبًا من البزر وهو اجود انواعهِ . واهالي فلوريدا في الولايات المتحدة يطعمون النارنج البري بالبرتقال وكذلك اهالي جنوبي اوربا يطعمون البرتقال تطعيمًا فلا يزرع من بزور برتقال الَّا نادراً لان بزور الاشجار المطعمة قلما ينبت منها شجر ثمرهُ مثلها ولذلك تدعو الحال إلى التطعيم دائمًا اما في جزائر الهند الغربيَّة فالبرتقال البزري هو الشائع وينبت من بزورهِ اجود انواع البرتقال

وتزرع البزور في المنبت حالاً بعد اخراجها من الثمر والَّا فان تركت حتى تجف ماتت جراثيمها الحيَّة واذا أُريد نقلها من مكان الى آخر وجب طمرها في التراب لان البزور المطمورة في التراب تبقى حياتها فيها زمانًا طويلاً بخلاف المكشوفة للهواء . والغالب ان يكون في البزرة الواحدة اجنة كثيرة . وتزرع البزور في صفوف والبعد بين البزرة والاخرى سبعة سنتيمترات الى عشرة وبين الصف والصف ١٥ سنتيمتراً الى ٢٥ والجذر الاول طويل فيجب ان يكون تراب المنبت عميقًا ناعمًا جدًّا ليسهل نزول هٰذَا الجذر فيهِ . وينقل النبات إلى البساتين حينما يصير عمرهُ سنة

وتتوقف المسافة بين الاشجار عَلَى نوع التربة فالتربة الجيدة العميقة المحلولة يُجعَل البعد فيها ثمانية امتار بين كل شجرة واخرى والتربة الضعيفة يجعل البعد فيها من ستة امتار إلى سبعة فاذا كان البعد ثمانية امتار وسع الفدان سبعين شجرة

ولا بدَّ من ان تحفر حفرة للغرس قبل غرسهِ بمدة الاَّ اذا كانت الارض جيدة جدًّا كثيرة الخصب فيستغنى عن حفر هذه الحفرة قبل الغرس بمدة . ويزرع الغرس في اوَّل فصل الشتاء . وحينما يقلع من المنبت ليزرع في البستان يعتنى بهِ لكي تقلع جذورهُ كلها فاذا انكسر الجذر الاوسط يبرى بسكين ماضية بريًا . ولا يصعب نقل شجر البرتقال ولو كان كبيرًا

الاعتناء بالاشجار — تزرع الاغراس كما تقدَّم فاذا كانت الارض جيدة لم تستدعِ عناية خصوصيَّة غير الحرث والعزق العاديين ولكن كثرة العناية تزيد الخصب والثمر وهي تستلزم استئصال الاعشاب من الارض وابقاء الارض محروثة ناعمة . ولا تنزع منها الجذور الصغيرة السطحيَّة ولذلك لا يُدنى المحراث من اصول الاشجار لئلاَّ يقطع هذه الجذور بل تعزق جيدًا باليد مرةً كل سنة اما في ما بعُد عن اصول الاشجار فالحرث العميق اصلح

السماد — البرتقال يستفيد من السماد اكثر من كل الاشجار فاذا كانت الارض ضعيفة والمواد النباتيَّة فيها قليلة ظهرت اشجار البرتقال فيها سقيمة صفراء الورق قليلة الحمل واذا اضيف الى هذه الارض سماد نيتروجيني ظهرت نتائجهُ في الشجر حالاً فيخضرُّ ورقهُ ويكثر حملهُ والزبل من اجود انواع السماد ولا بدَّ من ان تُسمد الاشجار كل سنة واذا مزج السماد بالماء وصُبَّ عَلَى جذور الاشجار ظهرت فائدتهُ فيها حالاً . وكلما زاد خصب الارض زاد حمل البرتقال

المزروعات الاخرى — تقدم ان المسافة واسعة جدًّا بين الاشجار ومعلوم ان اشجار البرتقال لا تكبر ولا تثمر الاَّ بعد نحو خمس سنوات او اكثر من زرعها ولذلك لا يحسن ان تترك الارض بلا زراعة أُخرى في هذهِ المدة ففي جزائر ازورس يزرع في الارض بطيخ وبقطين وتزرع الخضر السنويَّة بين الاشجار المثمرة ايضًا لان الاعتناء بهذهِ الخضر من حرث وعزق وتسميد وري يفيد الشجر فائدة كبيرة بشرط ان تسمد الاشجار نفسها ايضًا لكي لا يقل خصب ارضها

القضب — تقضب الاشجار من صغرها فتقطع منها كل الاغصان الجانبيَّة حتى تبقى لها ساق واحدة تعلو عن الارض نحو خمس اقدام او ستًّا ولا بدَّ من استعمال آلة ماضية في

قطعها . وتقطع بقرب الساق تماماً حتى يغطي القشر محل القطع ويلتحم فوقهُ . ولكن لا تنزع الاغصان الجانبيَّة كلها دفعةً واحدة لان كثرة القضب تضعف الشجرة وتوقف نموها . ثم اذا كبرت الشجرة وبلغت اشدها تقضب منها الاغصان اليابسة والمشوَّهة بمنشار ويسوَّى القطع بسكين ماضية ويدهن بالقطران لكي لا يدخل السوس والفساد الى قلب الشجرة

الغلة — تجنى غلة البرتقال في جزائر الهند الغربيَّة من سبتمبر (ايلول) الى فبراير (شباط) وابكر الاثمار اغلاها ولذلك يعتنى كثيراً بزرع البزور من الاشجار التي ينضج ثمرها باكراً او بالتطعيم منها . ويختلف مقدار الغلة باختلاف الاقليم والخصب ففي كليفورنيا يستغلُّ من الشجرة ٤٠٠ برتقالة الى ٦٠٠ وفي جزائر الهند الغربيَّة يستغل من الشجرة من ثلاثة آلاف الى ثمانية آلاف وقد استغلَّ اربعة عشر الف برتقالة من شجرة واحدة في دومينيكا

ولا بدَّ من الاعتناء وقت قطع البرتقال لئلاَّ يترضض لان برتقالة واحدة مرضضة تتلف صندوقاً كاملاً . ولا بدَّ من الوقوف عَلَى السلالم حين قطف الاثمار العالية ويجب ان تقطع اعناقها بسكين او بمقراض فان ذلك اسلم عاقبةً للشجرة وللثمر نفسهِ لان الثمرة التي عنقها فيها لا تتلف سريعاً وثمنها اغلى من التي لا عنق فيها

اعداءُ البرتقال — للبرتقال اعداءٌ كثيرة من الاثمار ولكنها قليلة في الهند الغربيَّة واشدها ضرراً الحشرات القشريَّة وهي اذا تركت بلا علاج يبست الاشجار الصغيرة ومنعت حمل الاشجار الكبيرة . ويمكن التخلص منها بمسح الساق والاغصان بمذوب صابون زيت الحوت الذي اضيف اليهِ قليل من زيت البتروليوم او بمسحها بصابون الحامض الكربوليك الذي اذيب في منقوع التبغ . ويصيب البرتقال نوع من الصدإِ او العفن سببهُ حشرات صغيرة تُقتَل بذَرِّ الجير (الكلس) الناعم على اشجار البرتقال قبلما يجف الندى عنها او بعد مطرة خفيفة وذلك بأَخذ الجير الناعم باليد وطرحهِ عَلَى الاشجار ولا بدَّ من ان يغمض الانسان عينيهِ حينئذٍ لئلاَّ يقع فيهما شيءٌ منهُ

النقل — يعتنى بوضع البرتقال في الصناديق والآنية المختلفة اشد الاعتناء كما يعتنى بقطفهِ . ويحسن ان يقطف البرتقال قبل ان تصفر قشرتهُ جيداً لانها تصفرُّ من نفسها بعد ذلك . ويقطف في يوم جاف ويوضع عَلَى رف يوماً حتى يجف جيداً وتطرح منهُ كل برتقالة مرضوضة او مصدوعة

وينقل البرتقال من جزائر الهند في براميل الدقيق الفارغة او في صناديق مصنوعة لهُ ويكون في البرميل ثقب لخروج الهواء ودخولهِ ويسع البرميل منها ٣٠٠ برتقالة . ولكن

الصناديق اصلح ويكون طول الصندوق قدمين ونصف قدم وعرضهُ قدماً وسمكهُ قدماً وطرفاهُ لوحين من الخشب. واما جوانبهُ الاربعة الباقية فقدَد من الخشب عرض كل قدَّة منها ثلاث عقد والبعد بين القدَّة والقدَّة عقدتان . والصندوق مقسوم قسمين متساويين بلوح في وسطهِ مثل لوحي طرفيهِ . والغالب ان الالواح والقدَد ترد من الولايات المتحدة الاميركيَّة منشورة معدَّة لعمل الصناديق

وتلفُّ كل برتقالة عَلَى حدتها بالورق ولا بدَّ من الاهتمام بانتقاء البرتقال الجيد وطرح كل ما كان مرضوضاً او مصدوعاً لئلاَّ يفسد ويُفسِد غيرهُ . والورق المستعمل اصفر اللون وهو يرد من اميركا لهذه الغاية . ويسع الصندوق من الصناديق المتقدمة ١٥٠ برتقالة من النوع الكبير او ١٨٠ من النوع الصغير . ولا بدَّ من رص البرتقال جيداً حتى لا يتقلقل وقت نقلهِ . ويحسن ان يضغط بغطاء الصندوق لانهُ يجف بعد حين ويقل جرمهُ فاذا لم يكن مضغوطاً جيداً صار عرضة للتقلقل ويجب ان يكون برتقال الصندوق الواحد من نوع واحد حجماً ونضجاً

السماد في الوجه القبلي

تابع ما قبلهُ

وقد حُلل المروق والطفلة مراراً كثيرةً فلما انتبه اليهما المستر فلوير (مفتش التلغرافات المصريَّة) ارسل خمس عينات الى المدرسة الزراعيَّة المصريَّة فحللت وظهر ان متوسط نيترات الصودا فيها ١٤ في المئة وكان المتوسط في عينة منها اكثر من ١٨ في المئة وقد اخذ هذه العينات من كوم اتى بها الفلاحون لتسميد ارضهم ثم ظهر ان النيتروجين فيها اكثر مما في غيرها مما حلل بعدها فان المستر ولس رئيس المدرسة الزراعيَّة وجد اكثر النيترات في سبع عينات اخذها من اماكن بين قنا ولقصر ٤٫٩ في المئة واقلها ٣٢ر في المئة

واطال المستر فلر في الكلام عن تحليل المروق وقد اجتزينا عن كلامهِ بما نشرناهُ من تقرير المستر فلوير نفسهِ في حينهِ . وخلاصة ما قالهُ ان مقدار النيترات الصرف في المروق مختلف كثيراً وان اكثرهُ في الطبقات السطحيَّة وهو في كل حال قليل جداً بالنسبة إلَى نيترات شيلي لان متوسط النيترات الصرف مهما زاد في المروق لا يكون اكثر من خمسة في المئة واما في نيترات شيلي فهو من ٢٠ إلَى ٥٠ في المئة . الاَّ ان استخراج

النيترات الصرف من المروق سهل جدًّا في مصر لكثرة المياه وليس عليهِ رسم جمرك كنيترات شيلي فان رسم الطن منهُ ٢٤٤ غرشًا

والطريقة ألتي يجري عليها المستر فلوير لاستخلاص النيترات من المروق بسيطة وهي انهُ يغسل التراب بالماء ثم يعرّض الماء لحر الشمس في حياض واسعة حتى يتبخر فيبقى الملح . وهو يغسل الطن من المروق بثلاثة اطنان من الماء . والتبخر في الشمس بسيط جدًّا ففي كل الف كيلو من المروق ١٠ كيلوات من النيترات وهي تذاب في ثلاثة آلاف كيلو من الماء فاذا حسبنا سمك الطبقة ألتي تتبخر يوميًّا سنتيمترًا وجب ان يكون اتساع الحوض ٣٠٠ متر مربع لكي يجمع منهُ ١٠ كيلوات من النيترات في اليوم واذا اريد جمع ١٠ اطنان وجب أن يكون اتساع الحوض ثلاثين الف متر مربع (اي سبعة فدادين ونصف) وهناك صعوبة اخرى وهي انهُ يستحيل تنقية نيترات الصودا من الاملاح الاخرى بواسطة حرارة الشمس ولذلك فنصف الاملاح ألتي تجمع بهذا التبخر خالٍ من كل فائدة ان لم يكن شديد الضرر . وكثيرًا ما تكون الاملاح الضارة اكثر من الاملاح النافعة . فاذا اريد استعمال نيترات الصودا في الزراعة وجب ان يكون نقيًّا لان الملح الذي يستعمل سمادًا في بلاد الانكليز اذا كان النيترات الصرف فيهِ يساوي ٩٥ في المئة عدَّ دنيئًا غير صالح ولا يعدُّ جيدًا صالحًا الَّا اذا كان النيترات الصرف فيهِ يعادل ٩٨ في المئة منهُ . اي يجب ان لا تكون الشوائب الاخرى اكثر من ٢ في المئة وهذا لا يكون الَّا بالاغلاء

ويسمد الفدان الذي يزرع ذرةً بيضاء او صفراء بمئة حمل حمار من المروق وزن كل حمل منها ٨٠ كيلو وهذا يقابل ١٢٠ إلى ١٦٠ كيلو من النيترات. ويسمد فدان القمح او الشعير الذي يزرع بعد الفيضان بضاعف هذا المقدار من المروق . وفدان القصب يسمد اولًا كما تسمد الحنطة ثم يسمد باكثر من ذلك . والذرة القيظيَّة تسمد كما تسمد الحنطة . والاجرة المعتادة نصف كيلة من الغلة لحمل الحمار وكيلة ونصف لحمل الجمل وذلك يساوي غرشين وربع وستة غروش وثلاثة ارباع الغرش . وبما ان مقدار النيترات مختلف كما تقدَّم فيبلغ ثمن الكيلو الذي في المروق من مليمين الى خمسة مليمات او ان طن النيترات يكلف من مئتي غرش الى خمس مئة والمتوسط ٣٥٠ غرشًا فاذا استعيض بالنيترات الصرف عن المروق امكن الاقتصاد في الوقت والتعب والنفقات لان دابتين تغنيان حينئذٍ عن مئة دابة وتسلم الارض من الاملاح المضرَّة ألتي في المروق . ولا شبهة في ان الفلاحين يدفعون ثمن الطن من نيترات الصودا النقي خمس مئة غرش اي نصف غرش عن كل كيلو . ومن رأي المستر

هوكر ان نفقة استخراج الطن من نيترات الصودا من المروق لا تزيد عَلَى ٣٦٠ غرشاً (٢٠٠ ثمن المروق و١٦٠ نفقات استحضار النيترات منهُ) فيبقى ربح كبير لمستخرجيهِ (ثم اشار عَلَى الحكومة في الختام ان تبيح لمن يشاءُ ان يستخرج النيترات من المروق . وان لا تجعل ذلك امتيازاً لاحد واثبت ان الاطيان في حاجة إِلَى النيترات وانهُ متى كثر استخراجها ورخص ثمنها كثر استعمالها جدًّا ولم يعد الناس يستعملون المروق)

خلاصة

يستخلص من تقرير المستر فلر ان الاراضي الزراعيَّة في القطر المصري محتاجة الى سماد نيتروجيني وان في التراب الكفري شيئاً من الاملاح النيتروجيَّة ولكنهُ قليل جدًّا وفي تراب المروق الذي يستعمل في الوجه القبلي شيئاً من الاملاح النيتروجيَّة ولكنَّ فيهِ املاحاً اخرى تضرُّ بالزراعة فليس من الحكمة ان يستعمل سنة بعد اخرى ولكن الاملاح النيتروجيَّة أَلَّتي فيهِ يمكن ان تستخرج منهُ بالاغلاء وتستعمل في الزراعة واذا بلغت نفقات الطن منها ٣٥٠ غرشاً او اكثر قليلاً امكن بيعهُ باربع مئة او بخمس مئة غرش لان الفلاحين الذين يستعملون المروق الآن يدفعون اجرة كل طن فيهِ من نيترات الصودا نحو خمس مئة غرش فخير ان يدفعوا هٰذَا المبلغ ثمن سماد صرف لا ضرر فيهِ من ان يدفعوهُ ثمن سماد لا يزيد نفعهُ على نفع السماد الاول وفيهِ مع النفع املاح تضرُّ بالارض ضرراً عظيماً. ومن رأْيهِ ان تساعد الحكومة رجلاً مثل المستر هوكر لكي يثبت بالامتحان انهُ يمكن استخراج نيترات الصودا النقي من المروق وان نفقات استخراجهِ غير كثيرة حتى لو بيع الطن منهُ بخمسة جنيهات لكان منهُ ربح وافر لمستخرجيهِ ثم تبيح للشركات الصناعيَّة ان تتبارى في استخراجهِ وبيعهِ. فعسى ان تعمل الحكومة بمشورتهِ لان المسأَلة خطيرة جدًّا واذا كان المروق يضرُّ الارض حقيقة وكانت اراضي القطر في حاجة الى نيترات الصودا وهو كثير في المروق فمن واجبات الحكومة ان تبذل جهدها في استخراج هٰذَا النيترات وتسهيل بيعهِ للفلاحين

الغوافيا

لما دخلنا المعرض الزراعي الذي فتح في العاصمة في اوائل هذا العام عجبنا من كثرة ما فيهِ من الازهار والاثمار والبقول أَلَّتي لا يعرف لها اسم في العربيَّة لانها جديدة دخلت القطر المصري منذ عهد حديث ونمت فيهِ واينعت . وغنيٌّ عن البيان ان الاوربيين نزلاءَ هٰذَا

القطر هم الذين ادخلوها واعتنوا بزراعتها ثم تعلم الوطنيون منهم ذلك و باووهم فيهِ . ومن الاثمار الكثيرة ٱلَّتي دخلت القطر المصري وليس لها اسم في العربيَّة الغوافيا وهي ثمر شجر من الفصيلة الآسية وطنهُ الاصلي الهند الشرقيَّة والهند الغربيَّة او الهند الغربيَّة فقط وقد نقل منها نقلاً إِلَى الهند الشرقيَّة وهو كثير فيها جدًّا حتى لا يخلو بيت في سيلان من اشجار منهُ



تحيط بهِ. وقد نجح في القطر المصري نجاحًا تامًّا كما يظهر من انتشار زراعتهِ فيهِ وكبر ثمرهِ . والشجر صغير يعلو عن الارض من سبع اقدام إِلَى عشرين قدمًا وثمرهُ بيضيٌّ كما ترى في هٰذَا الشكل وهو صورة غصن منهُ وزهرهِ وثمرهِ واجودهُ الابيض وهو صقيل ولبهُ حلو عطري الطعم وبزورهُ صغيرة عظميَّة وورقهُ خشن مترادف . ويصنع من الثمر مربى لذيذ الطعم ومنهُ نوع احمر الثمر شديد الحموضة . ولا نذكر اننا رأَينا هٰذَا الشجر في سورية لما كنا فيها فعسى ان يكون قد جلب اليها الآن لانهُ ينتظر ان يجود فيها كما جاد في القطر المصري

زرع الخيار

جاء في جريدة الزارع الاميركيَّة ان افضل الطرق لزرع الخيار ان تحفر في الارض حفر في اواسط الربيع عمق الحفرة منها قدم والبعد بين كل حفرتين ست اقدام ويوضع في كل حفرة نحو اقتين من زبل الفراخ ويلبد جيدًا ويطمر بالتراب الناعم حتى يكون عمق

التراب فوق الزبل ست عقد وتوضع البزور عَلَى هٰذَا التراب وتغطى بطبقة أُخرى من التراب الناعم عمقها عقدة ونصف وتلبد جيدًا . ويزرع في كل حفرة ثماني حبات فاذا نمت كلها وزال كل خطر عليها من الدبد والسوس لا يترك في الحفرة الَّا ثلاث نبتات منها ولا بدَّ من العزق مرارًا كثيرة حتى يبقى التراب ناعمًا ما دام ذلك ممكنًا اي قبلما يمتد النبات ويغطي الارض

زراعة النيل

اخبرنا المستر فلر انهُ رأى اراضي القطر المصري صالحة جدًّا لزراعة النيل وان اراضي الهند ألَّتي يزرع فيها هٰذَا النبات لا تمتاز عَلَى اراضي القطر المصري . واخبرنا الذين يزرعون النيل حتى الآن في جهات الفيوم ان غلة الفدان منهُ تساوي نحو خمسين جنيهًا . ويظهر من تقرير الجمارك المصريَّة ان النيل الذي دخل القطر المصري في العام الماضي من بلاد الهند قُدّر ثمنهُ بنحو مئتي الف جنيه . فاذا فرضنا ان هٰذَا هو الثمن الذي يمكن ان يبيعهُ الزارعون بهِ بعد استخراجهِ وحسبنا ان غلة الفدان تساوي خمسين جنيهًا فالمقدار المشار اليهِ يستغل من اربعة آلاف فدان . وسوق النيل رائجة دائمًا والمقطوعيَّة في القطر المصري ثابتة فلا يخشى من كساد الغلة ما دامت عند هٰذَا الحد . فعسى ان يهتم بعض المزارعين باعادة زراعة النيل الى هٰذَا القطر وتوسيعها

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فاكهة الصيف

الفاكهة للصيف والناضج منها طيب الطعم نافع للجسم ولكن ما كل البلاد فاكهتها كثيرة ولا كل الفاكهة تؤكل في كل حين . ففي هٰذَا القطر وفي هٰذَا الوقت الذي انتشر فيهِ الوباء يعسر عَلَى المرء ان يجد فاكهة ياكلها ولا يخشى سوء العاقبة . ولا يجوز اكل الفاكهة هنا

حتمًا الاَّ اذا كانت مما يمكن ان ينزع قشرهُ او يسهل غسلهُ اما الفواكه ٱلَّتي لا تقشر ولا تغسل بالماء الغالي فلا يجوز اكلها الآن وقد لا يجوز في سائر الاوقات

اخبرتنا سيدة انكليزيَّة انها رأَت ولدًا يبيع كبوش القش (الفرز) في منتزه الجزيرة فابتاعت منهُ سلة صغيرة وجلست في مركبتها تاكل منها . ثم التفتت إِلَى الولد وكان معهُ سلة اخرى فرأَتهُ يلحس كبوشها بلسانهِ ويمسحها بثوبهِ الوسخ لكي ينظفها من الغبار فجاشت نفسها للحال وتقيأَت ما اكلتهُ . وما ادرانا ان كل الاثمار ٱلَّتي يبيعها الاولاد في الازقة والشوارع في سلال صغيرة لا ينظفونها بالسنتهم وثيابهم مثل هٰذَا الولد . ولو اقتصر هٰذَا الامر على ما فيهِ من الكراهة لاغضى العاقل عنهُ ولكنهُ قد يكون مجلبة لادواء كثيرة لانهُ اذا كان الولد مصابًا بمرض معدٍ كالزهري او التدرُّن حملت الاثمار جراثيم العدوى الى مَن يأْكلها ولذلك لا يسوغ اكل الفاكهة الاَّ اذا امكن تقشيرها او غسلها جيدًا فاذا كانت مما لا يقشر ولا يغسل ككبوش التوت والفرز فلا يحسن ان ياكلها احد الاَّ اذا قطفها بيدهِ ولا سيما في مثل هٰذَا الوقت

بدل الفاكهة

اذا حُرمنا اكل الفاكهة الطبيعيَّة لما تقدَّم من الاسباب فلم نحرم اكل الفاكهة الصناعيَّة نعني الحلوى الطيبة الطعم السهلة الهضم لا الرقاق والقطائف ونحوها مما يكثر دسمهُ ويعسر هضمهُ . وتمتاز الحلوى السهلة الهضم بانها كثيرة البيض واللبن قليلة السمن والزيت وقوامها النشا والتبيوكا والساغو والارز وهي تؤْكل باردة بعد ان تطيَّب بشيء من الطيوب كالفانلا ونحوها فلا تكون اقل من الفواكه الطبيعيَّة لذةً ولا نفعًا وهاك امثلة بعضها

حلوى الارز

اسلق الارز جيدًا وضعهُ في فناجين حتى يبرد ثم اقلبها في صحاف كل فنجان في صحفة وامزج زلال بيضتين بعد خبطهِ جيدًا برطل من اللبن وملعقة صغيرة من النشاء وفنجان من السكر الناعم وطيب المزيج بقشر الليمون وسخنهُ عَلَى النار وحينما يبرد صبهُ عَلَى الارز فيكون منهُ حلوى طيبة

حلوى الكرمل

سخن نصف فنجان من السكر الناعم في اناء من الحديد حتى يذوب و يصير اسمر اللون واضف اليهِ ربع فنجان من الماء الغالي حتى يصير من ذلك شراب شديد القوام فصبهُ في فناجين قليلاً منهُ في كل فنجان ثم اخبط ثلاث بيضات واضف اليها ربع فنجان من السكر وفنجانين من اللبن وملعقة صغيرة من الفانلا وامزج هذه المواد جيداً وصب المزيج في الفناجين فوق شراب السكر المحروق (الكرمل) وضع الفناجين في اناء ضمن اناء آخر فيهِ ماء غالٍ وضع الكل في فرن حتى يجمد البيض ثم صب الفناجين في صحاف وهي سخنة وكُلها حينما تبرد

الكرايمه

صب كوبتين من اللبن الجيد في قدرٍ مدهون او اناء من الحديد المدهون بالخزف الصيني واكسر اربع بيضات واخبطها جيدًا واضف إلَى قليل من هٰذَا اللبن ملعقتين من كورن فلور (دقيق الذرة) او الاروروط وحركهُ حتى يمتزج باللبن جيدًا واذب في باقي اللبن فنجاناً كبيراً من السكر واضف إلَى البيض قليلاً من السكر وانت تخبطهُ لكي يسهل خبطهُ. وصبَّ البيض فوق اللبن الذي مزجت بهِ الاروروط ثم صب كل ذلك فوق اللبن الذي في القدر وضع القدر علَى نار خفيفة وحركهُ الى جهة واحدة حركة متواصلة الى ان يبلغ درجة الغليان بعد نحو ربع ساعة ويشتدَّ قوامهُ فيصب في صحفة كبيرة و يطيَّب بخلاصة الفانلا او زيت قشر البرتقال و يؤْ كل بارداً

ازالة الدهان عن الزجاج

اذا دهن البيت او الخشب بدهان زيتي (بويا) فكثيراً ما تقع نقط الدهان عَلَى الزجاج وتلصق بهِ ويمكن ان تزال عنهُ بالخل السخن اذا بلت خرقة بهِ ومسح الدهان بها

الوباء وتدبير المنزل

لا نظن ان في هٰذَا القطر عاقلاً يرتاب الآن في ان الوباء المنتشر فيهِ هو الكوليرا

الاسيويَّة ألَّتي انتشرت فيهِ عام ١٨٨٣ وفتكت بأهلهِ فتكاً ذريعاً . ولولا مجيء العالم كوخ الالماني الى هٰذا القطر حينئذٍ واكتشافهُ ميكروب الكوليرا واثباتهُ بعد ذلك ان هٰذا الميكروب يعيش في الماء و ينتقل بهِ الى الاصحاء الذين يشربونهُ فيصيبهم بالكوليرا لكانت وطأَة الوباء هٰذا العام اشد ممَّا كانت عام ١٨٨٣ . وذلك لان اكتشاف كوخ هٰذا ارشد الحكومة ورجال الصحة الى كيفيَّة اتقاء الكوليرا ومنع انتشارها فجرت بحسب ارشادهِ ولو تعلَّم الناس كلهم كيف يتقونها وكيف يمنعون انتشارها لاقتصرت اصاباتها على الذين اصابتهم اولاً ولم تنتقل منهم إِلَى غيرهم . ولكن الناس لا يتعلمون هذه الحقيقة دفعة واحدة ولا سيما لان الجهل لم يزل ضارباً اطنابهُ والمتعلمون قليل عددهم وبعضهم من الغرور والدعوى على جانب عظيم فلا يسهل عليهم التسليم بامر اكتشفهُ عالم اوربي يحسب عندهم اجنبيًّا . ولقد احسنت الحكومة في اخذها الامر بالحزم وعملت الواجب عليها في تنفيذ اوامرها بالقوة . الاَّ ان عملها لا يكفي ما لم تجد من الاهلين مساعداً لها ولا سيما من ربات البيوت . فان المرأَة موكلة بالطعام والشراب غالبًا وقد ثبت ان ميكروب الكوليرا يدخل الجسم مع الماء او مع الطعام . ولو كان كبيرًا لسهل تجنبهُ على كل احد ولكنهُ صغير جدًّا لا يرى بالعين فلا سبيل لتجنبهِ في البلاد الموبوءة الاَّ بطبخ الطعام وترشيح الماء جيدًا او اغلائهِ لان الحرارة تميتهُ . فاذا اعتنت ربَّات البيوت بالماء والطعام على ما تقدم لم يبقَ خطر من دخول الوباء بيوتهنَّ . واذا دخل خطأً امكن حصرهُ في الشخص الذي يصاب بهِ ومنعهُ من الوصول الى غيرهِ بسهولة وذلك بصب السوائل السامة على مبرزات المصاب حتى يموت ما فيها من الميكروبات ولا يتصل منها شيءٌ بالطعام ولا بالشراب ولا تتلطخ بها ايدي احد والاَّ فاقل شيء منها كافٍ لانتقال العدوى كما اذا غسلت امرأَة ثياب شخص اصيب بالكوليرا فان ميكروبات الكوليرا تلصق بيديها وتتصل منهما إِلَى طعامها . والماء الذي تغسل بهِ تلك الثياب اذا صُبَّ في ترعة انتشرت الميكروبات فيها حتى ان الذين يشربون منها يتعرَّضون كلهم للكوليرا . واذا توفي شخص بالكوليرا في بيت فثيابهُ ألَّتي كانت عليهِ وقت مرضهِ وفراشهُ الذي كان نائمًا فيهِ والامتعة ألَّتي تلوَّثت بمبرزاتهِ كلها ملطخة بجراثيم الوباء ويجب حرقها او تبخيرها بالبخار السخن في آلات معدَّة لذلك والاَّ فقد تبقى العدوى فيها اياماً واشهرًا . والكنيف الذي تصبُّ فيهِ مبرزات من أُصيب بالكوليرا قد ينقل العدوى الى الذين يجلسون فيهِ كأَنَّ المتصعدات ألَّتي تتصعد عن المبرزات تحمل معها ميكروب الكوليرا او سمهُ وتدخلهُ جسم من يجلس فيهِ ولذلك وجب ان يصب على مبرزات المصاب بالكوليرا مادَّة سامة تميت الميكروبات

التي فيها قبل طرحها في الكنيف

ويجب على كل ربة بيت ان تعلم هذه الحقائق وتعمل بها وتعلمها لاولادها . وفائدتها لا تقتصر على الكوليرا بل تعمّ اكثر الامراض المعدية

باب الهدايا والتقاريظ

النسخة السينائيَّة المجندرة

The Sinaitic Palimpsest.

ذكرنا غير مرَّة ان السيدة اغنس سمث لويس الانكليزيَّة اكتشفت في دير طور سينا نسخة من الاناجيل الاربعة باللغة السريانيَّة قديمة العهد جدًّا مكتوبة عَلَى رق الغزال كتابة مجندرة (اي كتابة فوق كتابة اخرى)وذلك سنة ١٨٩٢ وقد بقي جانب صغير من تلك النسخة لم تتمكن من تصويرهِ في زيارتيها الاولى والثانية لطور سينا فزارتهُ مرَّة ثالثة في الصيف الماضي واتمت تصوير ما لم تصورهُ اولاً وتُرجم كل ذلك إِلَى اللغة الانكليزيَّة وطبع مع الاصل السرياني . وقد اهدت الينا نسخة منهُ . ويظهر منها ان هذه النسخة السريانيَّة تختلف عن النسخ المعتمد عليها الآن في اماكن كثيرة ففي الاصحاح التاسع عشر من متى يقال " ان الذي خلق الذكر خلق الانثى ايضاً " بدل " ان الذي خلق من البدء صنعهما ذكرًا وانثى " وفي متى ٢٠ : ١٢ يقال " ثقل النهار في الحر " بدل " ثقل النهار والحر " وفي متى ٢٣ :١٣ يقال " ولا تدعون الآتين يدخلون "بدل " ولا تدعون الداخلين يدخلون " . وفي مرقس ١٠ : ٥٠ يقال " فاخذ رداءهُ " بدل " فطرح رداءهُ " وفي مرقس ١٢ : ٣٨ يقال " يحبون المشي في الاروقة " عوض " بالطيالسة " والاصحاح السادس عشر من مرقس مختتم بالعدد الثامن ويبتدئ انجيل لوقا بعدهُ

وفي يوحنا ٧ : ٤٨ يقال " لانهُ مَن من الرؤساء او من الفريسيين آمن بهِ غير هٰذا الشعب الذي لا يعرف الناموس " بدل " ألعلَّ احدًا من الرؤساء او من الفريسيين آمن بهِ ولكن هٰذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون " . والكلام من العدد ٥٣ من الاصحاح السابع إِلَى ١٢ من الثامن غير موجود في هذه النسخة . وفي يوحنا ٩ : ٣٥ يقال

" يا بن الانسان " عوض " يا بن الله " إِلَى غير ذلك من القراءات

وتظن مسز لويس وغيرها من العلماء ان هذه النسخة خطت في اوائل القرن الخامس او اواسط القرن الرابع والنسخة الاصلية الَّتي نقلت عنها يظن البعض انها كتبت في القرن الثاني ويظن البعض الآخر انها اقدم نسخة من نسخ الانجيل باللغة السريانيَّة

وهٰذَا الكتاب مطبوع في مطبعة مدرسة كمبردج الجامعة بالانكليزيَّة والسريانيَّة .

قواعد العربيَّة

Wright's Arabic Grammar, Third Edition.

لا نخطئ اذا قلنا ان اعتناء الاوربيين باللغة العربيَّة اشد من اعتناء ابنائها بها لا لفائدة خاصة يجنيها الاوربيون منها بل لانهم يعتنون بكل شيءٍ ونحن تملكتنا ملكة الاهمال حتى اهملنا لغتنا واقتصر علماء العربيَّة عَلَى التقليد ومضى عليهم الف عام لم يخرجوا فيها عن خطة السلف

والكتاب الذي امامنا الآن من اوسع الكتب لشرح قواعد اللغة العربيَّة رسمًا وصرفًا ونحوًا وقد صدر منهُ مجلد واحد حتى الآن ولكننا طالعنا ايضًا طبعة قديمة فيها الكتاب كلهُ منذ نيف وعشرين سنة وعجبنا من غزارة مادتهِ فان فيهِ من الفوائد والقواعد ما لم نجدهُ في كتاب آخر ولا في حاشية الصبان على شرح الاشموني ويزيدهُ فائدة عند علماء اللغات ما فيهِ من المقابلة بين العربيَّة واخواتها السريانيَّة والعبرانيَّة والحبشيَّة . وهو لا يكتفي بذكر القواعد بل يكثر من الامثلة حتى يرسخ معناها في ذهن الطالب ويرى كل ملابساتها مثال ذلك ان كتب الصرف اذا ذكرت معاني تفعَّل قالت ان من معانيهِ الانتساب كتبدَّى وقلما تذكر مثلاً آخر اما هنا فقد ذكر تقيَّس وتنزَّر وتزرَّق وتشيَّع وتعرَّب وتهوَّد وتمجَّس وتنصَّر وتأسَّد وتنمَّر نسبة إِلَى قيس ونزار والازارقة والشيعة والعرب واليهود والمجوس والنصارى والاسد والنمر مع ما في هذه النسب من الاختلاف

ومن ذلك ان كتب الصرف والنحو تذكر شروط افعل التفضيل ان يكون الفعل الذي يبنى منهُ ثلاثيًا معلومًا متصرفًا مما يقبل التفاضل ولا يأتي الوصف منهُ عَلَى افعل ولكنهم قلما يذكرون الشواذ اما في هٰذَا الكتاب فنجد الشواذ في نحو صفحتين مثل اطهر للبدن من طهَّر . واصفى للماء من صفَّى . واسلم للحياة من سلَّم . واقوم للدرإ من اقام . واثبت للامر من اثبت . واخوف عَلَى من خوَّف او اخاف . واعون عَلَى من اعان . واذهب من اذهب .

وارخاها للمفصل من ارخى . والق لهُ وعليهِ من الق . وانصف منهُ من انصف واطول لهُ من اطال . واحي لهُ من احيى . واظلّ منهُ من اظلّ . واجود لهُ من اجاد . واعطى لهُ من اعطى . واكرم لهُ من اكرم . وافقر منهُ من افقر . وافلس منهُ من افلس . واحمد واعرف والوم واسرّ واعذر واشغل وازهى من حُمِدَ وعُرِف وليم وسُرّ وعُذر وشُغل وزُهي . واخصر من اختُصِر وابيض واسود واحمق الى غير ذلك. ولو كان في بعض الامثلة ألتي ذكرها نظر

ومما يدل عَلَى اتساع هٰذَا الكتاب وشموله انهُ ذكر ثمانية وثلاثين وزنًا من اوزان المصادر الثلاثيّة مع ان كتاب الجمانة عَلَى توسعهِ في الصرف لم يذكر سوى ستة وثلاثين وزنًا لكنهُ لا يخلو من النقص فقد اهمل من اوزان المصادر تَفعال وتِفعال وفُعلَل وفعّيلى

والطبع واضح جدًّا ولو كان حرفهُ العربي غير جميل بالنسبة الى الحروف المألوفة عندنا وقد طبع في مطبعة مدرسة كمبردج الجامعة بعد ان بدأ في تنقيحهِ المرحوم الاستاذ روبرتسن سمث واتمهُ الاستاذ غوجه المحقق استاذ العربيّة في مدرسة ليدن الجامعة .

باب الفتوح

مجلة علميّة شهرية يحررها جماعة من العلماء الادباء وقد اطلعنا على العدد الاول منها فالفينا فيهِ مقالات كثيرة الفوائد في الانشاء وتأليف الجمل والتعليم والاعراب والتفكيك ومسائل رياضيّة وشذرات طبيعيّة ومما جاء فيها في باب تعليم الانشاء" ان الجرائد امسكت على اللغة بقيتها وحدَّدت الداء وساعدت بحكمتها على عدم سريانهِ وايقافهِ حيث وجدتهُ" ثم ذُكرت اسماء بعض الجرائد وصُدّرت باسم الوقائع المصرية كأَن ذاكرها لم يرَ الوقائع قط. فنشكر لحضرات الفضلاء محرري هذه المجلة ونتمنى لها السبق في تعميم المعارف

الثريَّا

مجلة علميّة ادبيّة تاريخيّة فكاهيّة اصاحبها ومنشئها الاديب ادوارد افندي جدي صدَّرها برسم الجناب الخديوي وادرج فيها نبذًا كثيرة وفوائد جمة نثرًا ونظمًا من ذلك نبذة في انهار البحار واخرى في وصف مصر القاهرة واخرى في مشهد الفجر في مصر وتخللها اعلانات وروايات ادبيَّة فعسى ان يوفق صاحبها إِلَى زيادة اتقانها وتوسيع نطاقها

مسائل واجوبتها

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) دَين مصر

دمشق الشام . ذ . م . هل كان عَلَى الحكومة المصريَّة دين في ايام محمد علي باشا وما مقدار دينها الآن ومتى حدث هٰذَا الدين وفي اي شيء انفق وهل هو آخذ في الزيادة او في النقصان ومتى يرجى ايفاؤُهُ كلهُ اذا استمرَّ معدَّل الاستهلاك عَلَى ما هو عليهِ الآن

ج لم يكن عَلَى الحكومة المصريَّة دين في ايام محمد علي باشا ولما تولى اسمعيل باشا كان دينها نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات فقط ولكن لم تأْتِ سنة ١٨٧٦ حتى بلغ دينها ٨٩ مليون جنيه . اما هٰذَا الدين فلم يصل ثلثاهُ الى الديار المصرية فمن القرض الذي عقد سنة ١٨٧٣ وقدرهُ ٣٢ مليون جنيه لم يصل الى الديار المصرية سوى ٢٠ مليون جنيه والمرجح ان الديون الصغيرة كان نصفها او اكثر منهُ يأْخذهُ العملاء والسماسرة والاموال التي بلغت مصر أُنفق بعضها على الاعمال النافعة واكثرها على ما لا نفع منهُ . فقد انفق القطر المصري عَلَى ترعة السويس ١٧ مليون جنيه وهو لا يستفيد منها شيئًا الآن بل تعطلت تجارتهُ بسببها . وكل الاعمال ألَّتي عملها اسمعيل باشا انفق عليها اضعاف نفقاتها الحقيقيَّة . وقد اكد المستر ملنر الاقتصادي ان الاعمال النافعة ألَّتي عملها اسمعيل باشا لا تساوي عشر المبالغ ألَّتي انفقها عَلَى عملها . ولما تم قانون التصفية في اوائل حكم الخديوي السابق كانت الديون المصرية هكذا ؛

الدين الممتاز	٢٢٦٣٩٨٠٠	جنيه
" الموحد	٥٨٠٤٣٣٢٦	جنيهاً
دين الدائرة	٠٩٥١٢٨٠٤	جنيهات
" الدومين	٠٨٥٠٠٠٠٠	جنيه
والجملة	٩٨٦٨٥٩٣٠	

وكان متوسط الربا خمسة في المئة على الدين الممتاز ودين الدومين واربعة في المئة عَلَى الموحد ودين الدائرة . ثم حدثت الثورة العرابيَّة وثورة السودان ودفعت الحكومة المصريَّة تعويضاً لاهل الاسكندريَّة

فاضطرت ان تزيد دينها عشرة ملايين جنيه ثم اقترضت ثلاثة ملايين لاستبدال المعاشات ومليونين لاصلاح الري وحوّلت بعض ديونها فزادت قيمتها ومع ذلك كلهِ لا يزيد دين الحكومة المصرية الآن عَلَى مئة وخمسة ملايين جنيه. والربا الذي تدفعهُ الآن ثلاثة ملايين و٩٦١ الف جنيه لا غير . فانتم ترون من ذلك انها عادت فاوفت نحو عشرة ملايين جنيه من دينها وخففت الربا بتحويل بعضهِ واذا دامت الحال عَلَى هٰذَا المنوال فربما اوفت كل ديونها في نحو خمسين سنة . اما الاعمال ألَّتِي عملت ببعض هٰذَا الدين فمنها دخل يساوي جانباً كبيراً من رباهُ ولذلك لم يكن كلهُ خسارةً على هٰذَا القطر

(٢) الزهر بلا ثمر

ومنهُ . ان بعض النباتات كالمنثور المطبق (المضعف) لا بزر لهُ وبعض الاشجار كالزيزفون يزهر ولا يثمر فما فائدة التطبيق والإزهار فيهما وكيف ثبتا مع عدم فائدتهما

ج اما المنثور والورد والمضعف وما اشبه فاعتناء الانسان بها ونموها حيث يسهل عليها ان تتكاثر بواسطة جذورها واغصانها كفياها مؤونة الاثمار لان عمل الثمر والبزر يذهب بقوة عظيمة من النبات فاذا استغني عنهما مرةً استفادت اعضاؤهُ كلها فيرسخ فيهِ هٰذَا الاستغناء . وايضاحاً لذلك نقول . لنفرض ان في قطعة من الارض وردتين متماثلتين تماماً احداها استحالت اسدية ازهارها الى اوراق فلم تعد تثمر ثمراً . والاخرى بقي زهرها عَلَى حالهِ واثمر ثمراً . فالقوة التي اذخرت في اثمار الثانية خسرتها جذورها واغصانها . واما الاولى فبقيت هذهِ القوة في جذورها واغصانها فاذا عرض لتلك الارض عارض قلل الغذاء منها او ابعد عنها الاطيار ألَّتِي تأكل ثمر الورد وتفرّق بزرهُ فالوردة الاولى يكون لها نصيب من النمو والتكاثر بواسطة جذورها اكثر من الوردة الثانية. وهٰذَا شأن ما يتولد منها اذا استمرّت الحال على ما هي عليهِ فيقوى نوع الورد الذي لهُ زهر مضعف ولا يبقى غيرهُ في تلك الارض . وقيسوا على ذلك الاشجار ألَّتِي تنبت بجانب الماء ولا فرصة لاثمارها لتزرع في الارض لانهُ لا تراب تحتها دائماً او لان الماء يجرفها ويتلفها فان الشجر الذي يقل ثمرهُ منها يصير اقوى من غيرهِ ويكون لهُ نصيب من النمو والتكاثر بواسطة الجذور والاغصان اكثر من الشجر المثمر

(٣) البكارة

ومنهُ . طيه حادثة نشرتها احدى جرائدنا المحليَّة عن فتاة حملت ولم تزل بكارتها فهل ذلك ممكن

ج نعم اذا كان الغشاء حلقيًّا . وقد ذكر الاطباء حوادث كثيرة من هٰذَا القبيل. وقد فتحنا الآن مطول كازو في علم الولادة

فرأيناهُ يثبت ذلك ويثبت ايضاً نقلاً عن الدكتور مكل ان امرأة اسقطت في الشهر الخامس وكان غشاؤُها من النوع الحلَقي فبقي علَى حالهِ ولم يتمزَّق

(٤) غاية الاحياء

ومنهُ . ما رأي حكماء العصر في الغاية ألّتي تخلق لاجلها الاحياء وتباد بلا انقطاع

ج يظهر لكم من مقالة ادرجناها في العام الماضي موضوعها غرض العلماء الاعظم ان العلماء والفلاسفة بحثوا حتى الآن عن ماهية الموجودات وعن كيفيَّة وجودها اما غاية وجودها فلم يبحثوا عنها حتى الآن بل لم يهتدوا الى سبيل للبحث عنها بالطرق العلميَّة . ومن المحتمل انهم يهتدون في مستقبل الايام فيعرفون الغرض الذي لاجلهِ يكوّن الله مثلاً في السنديانة الف بلوطة فلا تنمو منها بلوطة واحدة ويكوّن في بطن السمكة عشرة ملايين بيضة فلا يصير منها الاَّ سمكتان اي يهلك عشرة ملايين لاجل اثنتين . ويقول بعض العلماء والفلاسفة ان الغرض هو نفع الانسان وترقيتهُ عقلاً وادباً لكنهم لم يستطيعوا ان يطبقوا كل حوادث الطبيعة على ذلك

(٥) زراعة النارجيل

ومنهُ . هل جربت زراعة شجر النارجيل في القاهرة وهل نما فيها

ج نعم وقد رأينا اشجارهُ في اول هذا العام في معرض الازهار والاثمار في العاصمة ولكنها لم تزل صغيرة

(٦) مكتشفات الشرقيين

ومنهُ . لماذا لا نرى في باب الاكتشافات والاختراعات من المقتطف اسماء مكتشفين ومخترعين من الشرقيين مع ان بعضهم برع في العلوم وبعضهم تعلم وتخرَّج في المدارس الاوربيَّة العالية

ج اما المكتشفات العلميَّة فليس لنا نصيب منها حتى الآن وليس ذلك بعجيب لان المتعلمين منا ليسوا جزءا من مليون بالنسبة إلَى المتعلمين في اوربا واميركا. فاذا اكتشف هؤُلاء مليون اكتشاف طولبنا نحن باكتشاف واحد ومعلوم ان المكتشفات العلميَّة قليلة ولذلك لا نلام اذا لم يكن لابناء المشرق نصيب منها ما عدا اليابانيين فان لهم اوفى نصيب . واما المخترعات الصناعيَّة فلابنائنا نصيب وافر منها بالنسبة الى قلة المتأهلين منهم لذلك لان اكثر المخترعين في اوربا واميركا من اهل الصناعة الذين لم يلمّوا بالعلم . ولو كان عندنا قانون مسهل لامتياز المخترعات الصناعيَّة ومعامل لعمل الآلات اللازمة لها لزاد عددها عاماً فعاماً . ونحن لا نضن بذكر كل اختراع شرقي يبلغنا خبرهُ كاختراع ممص الري الذي اخترعهُ الخواجا حلاَّج منذ ثلاثة اعوام

(٧) الصوت وسد الاذن

ومنهُ . ذكرتم في الجزء الثاني من السنة العشرين جواباً عَلَى سؤَال من دمشق " ان الجوامد اشد ايصالاً للصوت من الهواء فاذا وضع الانسان اصبعهُ على اذنهِ فتموجات الهواء التي لا يسمع صوتها عادة لضعفها تقع عَلَى اليد وتنتقل بالاصبع الى طبلة الاذن فيشعر بها ويحدث مثل ذلك لو سدّت الاذن بجسم آخر جامد" . فيلزم من ذلك ان الانسان اذا سدّ اذنيهِ بجسم جامد يسمع كلام غيرهِ وصوتهُ او غناءهُ اكثر مما لو كانت الاذنان مفتوحتين وهٰذَا خلف محض وخلاف المحسوس . والواقع ان الانسان اذا سمع اصواتاً مزعجة كالرعد وطلق المدافع وغيرها وسدّ اذنيهِ باصبعيهِ او بشيء من الجوامد تخف وطأتها ويقل سماعهُ لها واذا كلمهُ آخر وهو سادٌّ اذنيهِ لا يسمع كلامهُ او يسمع همساً خفيفاً فكيف نسمع تموجات الهواء اذا سددنا اذنينا ولا نسمعها اذا فتحناها والسمع عند الفتح اشد منهُ عند السد بشاهد الحس والتجربة

ج انا لا نسمع صوتاً الاَّ اذا كانت تموجات الهواء اكثر ١٦ في الثانية من الزمان واقل من اربعين او خمسين الفاً وكل التموجات التي عددها اقل من ١٦ في الثانية او اكثر من خمسين الفاً لا تؤَثر فينا التأثير الذي نسميهِ صوتاً فاذا تموَّج الهواء تموُّجاً يحدث صوتاً وصدم جسماً صلباً مصمتاً يوصل بينهُ وبين الاذن ضعف صوتهُ . ويعبّر علماء الطبيعة عن ذلك بقولهم ان الصوت يضعف بانتقالهِ من موصل الى موصل آخر مخالف لهُ ولذلك فوضع الاصابع في الآذان يمنع سمع الاصوات او يضعف صوتها كما قلتم . ولما قرأنا السؤَال الاول واردنا الاجابة عليهِ خطر لنا امر حركات الهواء الداخليَّة التي اكتشفها الاستاذ لنغلي حديثاً فرأينا ها اقرب شيء لتعليل هذه الاصوات بناء على انها تصدم اليد وتحركها حركات تنتقل بالاصابع الى الهواء الذي امام غشاء الطبلة ولو لم تكن حركتها الاصليَّة سريعة لتؤَثر في السمع . ولم نرَ احداً من العلماء ذكر هٰذَا التعليل لان حركات الهواء الداخليَّة لم تعرف الاَّ حديثاً وقد ذكر علماء الطبيعة والفسيولوجيا ان الانسان اذا سدَّ اذنهُ باصبعهِ سمع صوت الحركة الحادثة من انقباض عضلات يدهِ . وسندقق البحث في هٰذَا الموضوع ونكتب فيهِ في فرصة اخرى

(٨) مذهب النشوء والكتاب

ومنهُ . رأينا في كتاب نظام التعليم ان مذهب داروين المعروف بمذهب النشوء لا يناقض الكتاب المقدس . ونحن لم نستطع التوفيق بينهما بوجه من الوجوه لان الكتاب المقدس يصرّح صراحة لا تحتمل التأويل بأن البشر مولودون من آدم وحواء وان آدم صنعهُ الله بيديهِ من تراب الارض عَلَى صورتهِ ومثالهِ وتاريخهُ ينتهي الى نحو سبعة

آلاف سنة ومذهب النشوء يقول بتسلسل الانسان من الحيوان الاعجم وتاريخهُ ينتهي الى الوف كثيرة من السنين فكيف التوفيق بين القولين ونحن نراهما عَلَى طرفي نقيض

ج ان علماء الديانة المسيحيَّة مختلفون في ذلك اختلافًا عظيمًا فبعضهم يقول ان نتائج العلوم الطبيعيَّة صحيحة لا ريب فيها وان التوراة تخالفها لانها مكتوبة بحسب معارف الذين كتبوها. وبعضهم يقول ان نتائج العلوم الطبيعيَّة صحيحة ويمكن تطبيق التوراة عليها بالتأويل والتفسير والحذف والابدال فتراهم يذهبون في اقوال الكتاب كل مذهب لكي توافق اغراضهم. وبعضهم يقول ان اقوال الكتاب صحيحة كلها ونتائج العلوم الطبيعيَّة غير صحيحة وان ظهرت لنا الآن صحيحة فسيأتي وقت ينقض فيهِ مبدأها ويظهر فسادها. فان استطعتم التوفيق بين الكتاب ونتائج العلم او لم تستطيعوا فلكم اسوة بكثيرين مثلكم

اما نحن فقد قلنا مرارًا ان ليس غرض الكتاب تعليم العلوم الطبيعيَّة ولا نقضها فان وافقها او خالفها فالموافقة والمخالفة عرضيتان كما اننا في معاملاتنا اليوميَّة نوافق العلوم الطبيعيَّة مرةً ونخالفها اخرى وما من حرج علينا فنقول مثلاً مات زيد بالكوليرا عند طلوع الشمس مع ان الشمس لا تطلع ولا تنزل ولا يعترض عَلَى قولنا ولو كان في شهادة يتوقف عليها الحياة والموت ولذلك لا نهتم بالتوفيق بين الكتاب المقدس ونتائج العلوم الطبيعيَّة ولا نستطيع التوفيق لو اهتممنا

(٩) الكتب الطبيَّة

ومنهُ . ان بعض العلوم لا يوجد فيها كتب عربيَّة اصلاً وبعضها فيها كتب ولكنها قديمة لا تفيد لقدمها واكتشاف ما يخالفها او ما يزيد عليها فائدة فلماذا لا يترجم متعلمو اللغات كتبًا منها إلى لغتنا العربيَّة فان اعتذروا بقلة الربح اجبناهم ان ذلك خطاءُ بدليل ان باثولوجيَّة الدكتور فان ديك لا وجود لها الآن بثلاثة جنيهات مع ان كتابًا بحجمها من مطبوعات مصر يباع بعشرين غرشًا وبعض مؤلفات الدكتور بوست تباع باضعاف ثمنها والربح من هذه الكتب اكثر من الربح من ترجمة الروايات ألتي عكف عليها المترجمون والفائدة اعم

ج لا يُحسن ترجمة كتاب علمي الاَّ من لهُ المام بذلك العلم ومعرفة تامة بلغتهِ ولغة الكتاب ولذلك فالذين يحسنون ترجمة الكتب العلميَّة قلال جدًّا ووقتهم ثمين لقلة عددهم ولاهتمامهم باشغال اخرى. ثم ان رواج الكتب العلميَّة اقل مما تظنون كثيرًا فكتاب الباثولوجيا كتبهُ الدكتور فان ديك في سنتين عَلَى الاقل وبلغت نفقات طبعهِ نحو مئتي ليرة دفعت نقدًا وطبع منهُ نحو ٤٠٠ نسخة لم تنفد الاَّ في نحو عشرين سنة مع كثرة طلبة الطب المحتاجين الى هذا الكتاب

فاذا طرحتم من الثمن اجرة التجليد والباعة وجدتم ان الثمن لا يزيد على نفقات الطبع اما نفقات التأليف والتنقيح وقراءة المسودات فلو حسبت لوازت ست مئة جنيه على الاقل فاين الربح من هذا الكتاب . والكتب المصرية التي تباع رخيصة اكثرها رخيص الورق سقيم الطبع والعلمي منها قد دفعت الحكومة المصرية نفقاته فكل ما يحصل من بيعهِ هو ربح لاصحابهِ . ولا ربح من طبع الكتب العلمية ولا في اوربا نفسها الّا في احوال نادرة

(١٠) جذب السيارات

ومنهُ . يظهر من قواعد كبلر في الجاذبية العامة ان السيارات تجذب التوابع والشموس تجذب السيارات فما الذي يجذب الكل

ج كل الاجرام السموية جاذب ومجذوب في وقت واحد . وقوة جذبها بعضها لبعض هي التي تبقيها في مواقعها وتديرها بعضها حول بعض

---

(١١) النبات للسباخ

مصر . القائمقام عبد الرحمن بك حمدي . رأيتُ في الجزء الثالث من مقتطف هذهِ السنة ان في استراليا نباتاً يزرع في الارض السبخة فيخصب خصباً عجيباً وتأكلهُ المواشي اخضر ويابساً وانهُ أُتي بهِ من استراليا الى كلفورنيا وزرع في الاراضي السبخة التي لا تصلح فصارت من اجود المراعي . فارجوكم ان تخبرونا اين يمكننا ان نجد بزور هذا النبات وممن يمكننا ان نطلبها

ج قد نقلنا وصف هذا النبات عن جريدة الزارع الاميركية عن العدد الصادر في ٨ فبراير سنة ١٨٩٦ فخاطبوا اصحابها بذلك وعنوانهم Orange Judd Company
52 Lafayette Place,
New York.

واسم النبات باللاتينية
Atriplex semibaccatum
وبالانكليزية The Australian salt bush

او خاطبوا البارون ملر في ملبرن باستراليا
Baron V. Mueller,
Melbourne.

---

(١٢) مصقلة الذهب

دمنهور . عبد القادر افندي فريد قبودان . ذكرتم في الجزء الخامس من المجلد العشرين ان ما يصقل بهِ الورق الذهبي هو حجر اليشم الصقيل فقد سألنا عنهُ صانعي المرايا فلم يفهموا المراد منهُ . فما اسمهُ المتعارف

ج هو حجر صقيل شفاف تقريباً صلب جداً من نوع العقيق يستعملهُ كل مذهبي البراويز وورق الكتب ويسمونهُ مصقلة

(١٣) عمل المرايا

ومنهُ . اجبتم سؤالنا في الجزء الخامس عن المواد التي يركب منها ماء المرآة وقد

شرعنا في مشتراها فوجدناها كثيرة النفقة وقد قلتم انكم جربتم بعضها بيدكم وذكرتم ذلك في بعض مجلدات المقتطف الماضية فنرجو ان تذكروا لنا الطريقة التي جربتموها

ج اشتروا درهماً من نيترات الفضة المتبلور واذيبوهُ في درهمين من الماء المقطر واضيفوا الى هٰذَا الماء درهمين من الملح المسمَّى طرطرات الصودا والبوتاسا ثم اضيفوا الى هٰذَا المزيج ثلاثة دراهم او اربعة من ماء النشادر حتى يذوب . ونظفوا لوح الزجاج جيدًا وضعوهُ افقيًّا في الشمس او في مكان دافيءٍ وصبوا عليهِ من السائل المشار اليهِ رويدًا رويدًا حتى يغمر سطحهُ ويعلو عليهِ نحو نصف قمحة فيجف السائل بعد حين ويرسب منهُ قشرة رقيقة من الفضة يظهر بها اللوح مرآة من الوجه الآخر . ثم يصب قليل من الفرنيش على هذه القشرة لكي لا تتلف . وقد صنعنا مرايا كثيرة على هذه الصورة

---

(١٤) البودرة

دمشق . احدى قارئات المقتطف . اننا معاشر النساء لا نستغني عن البودره والمياه التي تبيض الوجه ونحن نشتريها الآن من السوق ونستعملها فيصيبنا منها ضرر في العيون والجلد والاسنان وقد جربنا عمل بودره من طحين الارز فما نجحنا فنرجو ان تكتبوا لنا في المقتطف وصفة بودره وماء لاجل تبييض الجلد ويكونان خاليين من الغش والضرر

ج نعرف نساء كثيرات يستغنين عن البودره ونحوها من مبيضات الجلد وحبذا لو جرت كل النساء مجراهن لان هذه المساحيق تلصق بالجلد فان لم تفعل بهِ فعلاً كيماويًّا مضرًّا سدَّت مسامهُ على الاقل فتكون كالغبار الذي يلصق بالبدن ويجب غسلهُ اذا طُلبت الصحة التامة . اما اذا كان لا بدَّ من استعمال المساحيق التي تبيض الجلد فاقلها ضررًا مسحوق الارز وهو يصنع هكذا ينقع الارز في ماء نقي ويغير الماء كل يوم مرةً او مرتين حسب حرارة الهواء مدة ١٤ يومًا حتى يلين ويسهل سحقهُ ثم يبرت جيدًا حتى يصير كاللبن ويصفى من منخل دقيق ويترك حتى يرسب منهُ راسب ابيض ناعم فيجفف وينعم ويمزج بهِ قليل جدًّا من كربونات الصودا الناعم . ويسمى هٰذَا المسحوق بودرة باريس . ويصنع غسول لليدين هكذا . يمزج خمس مئة غرام من دقيق الحنطة الناعم و ١٢٥ من مسحوق الصابون الناعم و٣٣ غرامًا من مسحوق جذر السوسن وغرامان ونصف من زيت البرغموت ويجبل المزيج ويوضع في اناءٍ ويسد جيدًا وحينما يراد استعمالهُ تجبل ملعقتان منهُ بقليل من الماء وتفرك بهِ اليدان جيدًا مدة ثم تغسلان بماءٍ نقي وتنشفان جيدًا

(١٥) سقي العنب

بحجورة . الخواجه منسى تكلا . ذهب بعض الكرَّامين إِلَى وجوب سقي العنب بعد ان يزهر مرةً كل خمسة ايام لكي تعقد حبوبهُ ولا تسقط وذهب البعض إِلَى وجوب منع السقي متى ظهر الزهر إِلَى ان تعقد الحبوب واختلفوا في سقي غيرهِ من الاشجار كالبرتقال وقت الازهار فاي القولين اصح

ج ان ذلك يختلف باختلاف مصارف الارض فالارض الجيدة المصارف التي تجف طبقتها السفلى سريعاً لا يضر السقي شجرها بل ينفعهُ والارض التي لا مصارف لها او مصارفها غير جيدة (سواء كانت تلك المصارف طبيعيةً او صناعيةً) يضعف شجرها بكثرة السقي فاذا روعيت هذه الحقيقة عرف الكرام متى يسقي العنب ومتى يمتنع عن سقيهِ فان كان قد عطَّشهُ قبل الازهار فلا ضرر من سقيهِ حينئذٍ وان كان قد رواهُ كثيراً قبل الازهار تماماً فلا يحسن ان يرويهُ ايضاً وقت الازهار

(١٦) زرع البن

ومنهُ . البن الذي عرض في معرض الازهار هل استحضر شجيرات من البلاد التي يزرع فيها او زرع من حبوب البن العاديَّة فان كان قد استحضر شجيرات فمن اين استحضر . وان كان قد زرع من حبوبهِ فكيف زُرع

ج استُحضِر شجيرات من بلاد اليمن . اما كيفيَّة زراعتهِ والاعتناء بهِ قد شرحناها شرحاً مسهباً في الجزء العاشر من السنة السابعة عشرة في مقالة شغلت اكثر من خمس صفحات فراجعوها فيهِ

اخبار واكتشافات واختراعات

البريد المصري

قلنا منذ خمس سنوات "ان ادارة البوسطة المصريَّة مضطردة خطة التقدم والارتقاء لا لانها جسم حي نامٍ بنفسها بل لان العقل الذي يديرها يعلم اساليب النجاح والهمة التي تتولاها لا تعرف الكلال ولا الملال ونجاحها ظاهر محسوس يشعر بهِ كل من لهُ اعمال كثيرة في هذا القطر وهو سائر عَلَى سلسلة حسابيَّة" . وما قلناهُ منذ خمس سنوات نعيدهُ الآن ونرى الادلة على صحتهِ تزيد عاماً بعد عام . فالمرسلات المتبادلة

داخل القطر المصري زادت هذهِ المدة من عشرة ملايين إِلَى خمسة عشر مليونًا والمتبادلة مع البلدان الخارجيَّة زادت من خمسة ملايين إِلَى سبعة وزادت النقود ٱلَّتِي ترسل صرًّا مع البوسطة . وكانت البوسطة محتكرة ارسال النقود فلا يجوز لاحد ان يحمل اكثر من خمسين جنيهًا اذا كان مسافرًا فِي سكة الحديد فتنازلت عن هذا الاحتكار واباحت لكل واحد ان يحمل ما شاء منها وخفضت رسم تصديرها النصف وجعلت نفسها مسؤُولة عن كل الاخطار ٱلَّتِي تصيب النقود المرسلة عن يدها ولو كانت بقوة قاهرة

وانشأَت في العام الماضي ١٦ مكتبًا جديدًا و٣٠ محطة طوَّافة وكان عدد المكاتب والمحطات ٤٤٤ سنة ١٨٩٠ فبلغ ٦٨٠ في العام الماضي وصارت المراسلات توزع عَلَى الناس في بيوتهم في عشر مدن من مدن القطر . ومع اتساع نطاق الاعمال منذ خمس سنوات الى الآن وازدياد العمال لم تزد النفقات الاَّ زيادة طفيفة فقد كانت ٨٨٥٢٩ جنيهًا سنة ١٨٩ فبلغت ٩٥١١٩ في العام الماضي وقد زاد الدخل رغمًا عن تخفيض الاجور كلها من ١٠٦١٥٢ جنيهًا سنة ١٨٩٠ الى ١١٣٥٠٠ سنة ١٨٩٥

وهاك جدول المراسلات المتبادلة داخل القطر تظهر منهُ زيادتها فِي السنوات الخمس الماضية

	١٨٩٥	١٨٩٠
مكاتيب	٨٧٠٠٠٠٠	٦٠٢٥١٠٠
جرائد	٤٧٠٠٠٠٠	٢٧٨٥٠٠٠
مراسلات اميرية	٢٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠
مراسلات مسجلة	٩٤٤٠٠٠٠	٠٣٧١٠٠٠
تذاكر بوسطة	٠٢٣٠٠٠٠	٠١٣٦٤٠٠
عينات	٠٠٦٠٠٠٠	٠٤٠٠٠٠
اوراق اشغال	٠٠٤٠٠٠	٠٠٢٣٠٠٠
والجملة	١٥٢٧٠٠٠٠	١٠٩٣٠٥٠٠

وهٰذَا الارتقاء المتواصل يعود بالفخر على مدير البوسطة المصريَّة صاحب السعادة سابا باشا وعلى كل رجالهِ الحاذقين حذوهُ الباذلين الجهد في القيام بما يطلب منهم

تجارة مصر ونقودها

بلغت قيمة البضائع الصادرة من القطر المصري في العام الماضي ١٢٩٥٦٣٥٩ جنيهًا استرلينيًّا وقيمة البضائع الواردة اليهِ ٨٦٠٥٠٦٠ جنيهًا . وبلغت النقود الواردة اليهِ ٤٤٢٩٤٠٠ جنيهًا والنقود الصادرة منهُ ٢٣٨١٧٣٤ جنيهًا وقد ورد اليهِ من النقود في الاعوام الخمسة الماضية نحو ١٦ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات وصدر منهُ فيها نحو احد عشر مليونًا ونصف مليون فبقي فيهِ خمسة ملايين جنيه في خمس سنوات

هواء الاسكندريَّة

يظهر من مراقبة الاحداث الجويَّة في

الاسكندرية منذ خمس وعشرين سنة الى الآن ان متوسط الحرارة فيها سنويًّا ٦٩ درجة وعشر بميزان فارنهيت اي ٢٠ درجة وستة اعشار بميزان سنتغراد وقد بلغت الحرارة اشدها في ١١ يونيو سنة ١٨٨١ فكانت ١١٢ درجة وثمانية اعشار بميزان فارنهيت اي ٤٤ درجة وتسعة اعشار بميزان سنتغراد و بلغت اقلها في ٣ فبراير سنة ١٨٨٤ فكانت ٣٩ درجة بميزان فارنهيت اي ٤ درجات وثلاثة اعشار بميزان سنتغراد ومتوسط الحرارة السنوي لا يزيد على المتوسط العام الاَّ نحو درجة ولا ينقص عنهُ الاَّ نحو درجة

وكان متوسط ما وقع فيها من المطر في هذه السنوات ٨ عقط و٢٢ من مئة اي ٢٠٨و٨ مليمتر ولكن متوسط المطر السنوي يختلف كثيرًا عن هذا التوسط العام ففي العام الماضي لم يقع سوى اربع عقد و٤٥ من مئة من العقدة (١١٣ مليمترًا) وفي العام الذي قبلهُ وقع ثماني عقد ونصف عقدة (٢١٦ مليمترًا) وفي بعض الاعوام لم يقع سوى ثلاث عقد ونصف وفي بعضها وقع ١٢ عقدة وربع ووقع في يوم واحد من سنة ١٨٧٦ ثلاث عقد اي ثلثا ما وقع في العام الماضي كلهِ

اعمال النساء

اكثر الكتَّاب في هذه السنين من الاطناب بمدح المرأة واظهار فضائلها . ومما يحسن ذكرهُ ان اكثر المطنبين من الرجال لا من النساء . الاَّ ان المرء يجب ان يقف على ما تقولهُ النساء انفسهنَّ في هذا الموضوع وهاك ما كتبتهُ احداهنَّ في مجلة الفورم الانكليزيَّة قالت " قلما نتكلم المرأة الآن الاَّ ونقول ان النساء يطهّرنَ كل مكان تطأهُ اقدامهنَّ . فاذا كان الامر كذلك فلنفتح صحف التاريخ لنرى ما فعلتهُ المرأة وهي قابضة على زمام السلطة والاسلوب الذي طهرت بهِ كل مكان وطأتهُ اقدامها . فكاترين ده مديسي اقنعت الملك كارلس التاسع حتى امر بمذبحة مار برثلماوس الشهيرة فزادت سطوتها من ذلك الحين وسلمت بقتل ابنها لانها حسبتهُ حاجزًا في سبيل سلطتها وماتت تحيط بها الحروب الدموية ألَّتي اضرمت نارها . ومدام ده منتنون تسلطت على لويس الرابع عشر فطردت من فرنسا افضل رجالها وكانت العلة لكل ما سفك من الدماء في عهدها . ومدام ده بمبادور تسلطت على لويس الخامس عشر عشرين سنة وكانت مغرمة بالشعر والتصوير وكان كل شيء طوع امرها حتى الوزراء والقواد ولكنها لم تفد البلاد شيئًا بل اضرَّت بها دينًا ودنيا . ولقد اطنب الكتَّاب بالملكة اليصابات ولكن المؤَرخ فرود استخلص من تاريخها " ان النتائج العظيمة ألَّتي تمت للبلاد في ايامها

كانت ثمار سياسة غير سياستها وانها كانت تقسو وقتما يجب اللين وتلين وقتما تجب القسوة . وقد افلحت بانقسام اعدائها لا بحكمتها ولا بدهائها" . هذا ما تقوله المرأة في المرأة اما الرجال فلا يؤاخذون الكل بجريرة البعض بل يرون الصلاح والطلاح بين الرجال والنساء على حدّ سوى

اختراع المرآة

المرايا المعدنية قديمة العهد جدًّا كانت معروفة عند قدماء المصريين والاشوريين والاسرائيليين وغيرهم من الشعوب القديمة واما المرايا الزجاجية التي عليها قشرة من القصدير او الرصاص فلم تذكر قبل القرن الثالث عشر وكان المعدن يصب على الزجاج اولاً وهو مصهور ثم صاروا يرقونهُ ويدهنونهُ بالزئبق ويلصقونهُ بالزجاج ولم يشع استعمال هذه المرايا حتى القرن السادس عشر

عدو الفار

صنع بعضهم هرة معدنية وطلاها بطلاء ينير في الظلام فاذا وُضعت في البيت ورأتها الفيران فيهِ ليلة بعد ليلة هجرت ذلك البيت ولم تعد اليهِ . وهي حيلة سهلة قليلة النفقة للتخلص من الفيران والجرذان ايضاً

تصوير الفكر

ادعى الدكتور بارادوك في اكادمية الطب بباريس انهُ نجح في تصوير ما يجول في فكر الانسان بالفوتوغرافيا وذلك بان يدخل الشخص غرفة مظلمة ويجعلهُ يفكر في شيء فتظهر صورة ذلك الشيء على اللوح الفوتوغرافي

اكبر النيازك

رأى احد رواد الاصقاع الشمالية حجرًا كبيرًا من الحجارة النيزكية وقع من السماء في بلاد غرينلندا وقد قدّر ثقلهُ بنحو اربعين طنًّا فهو اكبر النيازك المعروفة وقد عزم الآن على الرجوع الى غرينلندا والمجيء بهِ إلى جمعية العلوم في فيلادلفيا باميركا

سرعة التلغراف

أُرسلت رسالة برقية من المعرض الكهربائي بنيويورك الى مدينة لندن وارسلت من هناك الى توكيو ببلاد اليابان ومن ثم الى غربي اميركا ومنهُ الى نيو يورك فدارت سبعة وعشرين الفًا وخمس مئة ميل في ٤٧ دقيقة وارسلت رسالة تلغرافية اخرى فدارت حول اميركا الجنوبية كلها وعادت إلى نيويورك في ثلاث وعشرين دقيقة . ولما احتفل بعيد اللورد كلفن ارسلت اليهِ رسالة تهنئة تلغرافية من غلاسغو فدارت حوال الارض كلها وعادت اليهِ في سبع دقائق

الميكروبات في اللبن

ثبت من البحث في اللبن انهُ قد يكون

في الاوقية منهُ من ثلثمئة الف ميكروب الى مئة وخمسة وثلاثين مليون ميكروب . وسننشر في الجزء التالي مقالة مسهبة فيهِ

مركبات بلا خيل

ثبت الآن ان المركبات البخاريَّة ألتي تسير بقوة البخار بدل الخيل يسهل استعمالها في كل البلدان ألتي طرقها صلبة ممهدة وان الراكب فيها يسير في يومهِ سبعين او ثمانين ميلاً بسهولة ووقودها زيت البترول بدل الفحم وهي بسيطة الآلات فلا تفتقر الى مهندس خاص يسير فيها كما ظنَّ قبلاً . ولا يبعد ان يشيع استعمال هذه المركبات كثيرًا حتى في المدن الكبيرة الغاصة بالسكان ولكن يقتضي حينئذٍ ان تقلل سرعتها فتجعل نحو ثمانية اميال في الساعة

تجفيف الخشب

قطع بعضهم اشجارًا من السنديان واوقفها بجانب حائط وجذورها الى الاعلَى ثم جاء بعد ايام فوجد تحت رأسها مادة لزجة وتبين لهُ ان الشجرة قد يبست اكثر مما تيبس عادة في مثل تلك المدة وتحقق من ذلك انهُ اذا اوقفت الاشجار بعد قطعها وجذورها الى اعلى خرج العصار منها بسهولة واسرع جفافها

تصوير الشمس الملون

قيل ان المستر مكدونو من سكان شيكاغو استنبط طريقة لتصوير الصور الفوتوغرافيَّة حتى تظهر فيها الالوان الطبيعيَّة عَلَى حالها ونال الامتياز من حكومة اميركا بهذا الاستنباط وهو مبني عَلَى ان الورق يكون مسطَّرًا سطورًا دقيقة بعضها احمر وبعضها اخضر وبعضها ازرق فتظهر عليها الصورة ملونة

الهموستات

استنبط المستر لوسن تايت آلة كهربائيَّة لتوقيف نزف الدم سميت الهموستات وهي توقف نزف الدم بالحرارة ألتي تكون منها وتجمد الدم . و يقال انها من انفع الآلات للجرَّاح

الترام الكهربائي

مدَّت خطوط الترام الكهربائي في القاهرة وكاد يتم مد الاسلاك ألتي تجري الكهربائيَّة عليها ولا تمضي ايام كثيرة حتى نرى المركبات تسير في شوارع القاهرة والدافع لها القوَّة الكهربائيَّة فتتساوى عاصمة الديار المصريَّة بعواصم الممالك الاوربيَّة . وقد كان في اوربا كلها في اوَّل هذا العام ٥٦٠ ميلاً من خطوط الترام الكهربائي و ١٧٤٧ مركبة كهربائيَّة بعضها يسير كما ستسير المركبات في القاهرة و بعضها يسير بقوَّة مذخورة فيهِ وبعضها بقوَّة جارية عَلَى اسلاك تحت الارض

تعب الدم

ثبت بالامتحان انهُ اذا حقن حيوان مستريح بدم حيوان متعَب ظهرت فيهِ كل علامات التعب. وقد حلَّل الاستاذ ودنسكي دم الحيوان المتعَب فوجد فيهِ سمًّا يشبه سم الكرار النباتي الذي يسمّ بهِ هنود اميركا رؤُوس سهامهم. والسم الذي يتكوَّن في دم الحيوان المتعَب مثل هٰذَا السم في تركيبهِ الكيماوي ومثلهُ في فعلهِ بالبدن الَّا ان الدم ينفثهُ بسرعة ويتخلص الجسم منهُ فاذا كثر تولدهُ وعجز الدم عن التخلص منهُ شعر الجسم بالتعب الشديد وربما كانت العاقبة وخيمة عليهِ

البازلاَّ الخضراء

البازلاَّ الخضراء اللون ٱلَّتي تباع في صناديق صغيرة من الصفيح تكون ممزوجة بقليل من كبريتات النحاس لكي تبقى خضراء اللون وهٰذَا الملح سام وهو اذا كان قليلاً جدًّا فضررهُ قليل جدًّا ولكن لا يمكن تحديد الكميَّة التي تضر والتي لا تضر ومن رأي جريدة اللانست الطبيَّة انهُ يجب الامتناع عن وضع هٰذَا الملح النحاسي في البازلاَّ منعًا مطلقًا

نجيمات جديدة

اكتشف ثلاث نجيمات جديدة فبلغ عدد النجيمات المكتشفة حتى الآن ٤٢١

اشعة رنتجن

اتقن الالمانيون عمل الانابيب لنور رنتجن حتى صاروا يرون بها كثيرًا من اعضاء الانسان الباطنة وحركاتها المختلفة

ماء الينابيع والميكروبات

دخل المسيو بول ريمون نهرًا تحت الارض في بلاد فرنسا وسار فيهِ مسافةً طويلة واخذ جانبًا من مائهِ وهو متحاب اليهِ في ارض سمكها ثمانمئة قدم فوجد فيهِ كثيرًا من الميكروبات. والميكروبات ٱلَّتي وجدها سليمة كلها ولكن ذلك لا يمنع ان تصل الميكروبات المرضية الى اعماق الارض كما تصل الميكروبات السليمة. وظاهر هٰذَا الاكتشاف مناقض لما قلناهُ مرارًا من ان الترشيح في طبقات الارض يطهر الماء من كل الشوائب وليس هو كذلك لان طبقات الارض الصخريَّة فيها شقوق كثيرة يجري فيها الماء بما فيهِ من الشوائب ولو كانت ترابًا او رملاً مندمج الدقائق صغير المسام لمسكت كل الشوائب ولم تدعها تجري مع الماء. فالترشيح المنقي للماء يجب ان يكون في طبقات ترابيَّة او رمليَّة صغيرة المسام لا في طبقات واسعة الشقوق

آراء العلماء

الثواب والعقاب

كتب الكاتب الشهير نورمن بيرصن في جريدة القرن التاسع عشر الانكليزية مقالة مسهبة ابان فيها ان الثواب والعقاب بعد الموت يقتضيان التسليم اولاً بوجود محكمة في الحياة الاخرى يدان فيها الاموات وثانياً بوجود قانون ادبي تقضي تلك المحكمة بموجبهِ . فاذا كان الانسان يعتقد هٰذَا الاعتقاد سهل عليهِ التسليم بالثواب والعقاب وبوقوعهما على هذه الصورة اي ان ينشئ الله محكمة في الحياة الاخرى يدين فيها كل انسان على حدتهِ بموجب قوانين ادبيَّة يعلمها ذلك الانسان ويحاكمهُ عَلَى كل عمل عملهُ كبيراً كان او صغيراً. واما اذا كان لا يعتقدهُ فمن رأي الكاتب انهُ يمكن ان يكون الثواب والعقاب على صورة اخرى طبيعيَّة معقولة وهي ان النفس تترك الجسد وفيها اثر كل الاعمال الَّتِي عملتها والعادات الَّتِي اعتادتها والاخلاق الَّتِي تخلقت بها صالحة كانت او طالحة وتدخل على هذه الصورة عالماً آخر اصلح من عالمنا حسب سنَّة الارتقاء فان كانت اعمالها وعاداتها واخلاقها صالحة سهل عليها الوجود في تلك الحياة الاخرى وسرَّت بها وتقدمت من حسن الى احسن منهُ ومن صالح إِلَى اصلح منهُ وهٰذَا هو الثواب وان كانت اعمالها وعاداتها واخلاقها طالحة عسر عليها الوجود في تلك الحياة الصالحة ونفرت منها وعاشت فيها بالغم والكدر وهٰذَا هو العقاب. وعليهِ فالثواب والعقاب نتيجة طبيعيَّة من الحياة الَّتِي نحياها في هذه الدنيا ولا حاجة الى فرض المحكمة والمحاكمة والقوانين . ولا نظن ان كثيرين من ائمة الدين يوافقونهُ على ذلك

النظام المتري

كثر الجدال في البلدان الانكليزيَّة في النظام المتري الفرنسوي . فان طائفة العلماء تبغي الاعتماد عَلَى المتر في المقيسات والغرام في الموزونات واللتر في المكيلات والاعشار في النقود اي تبغي ان تقرَّ الحكومة الانكليزيَّة الآن عَلَى ما اقرَّت عليهِ الحكومة المصريَّة منذ بضعة اعوام . واجتمعت اللجان العلميَّة والتجارية وتذاكرت في هٰذَا الموضوع وطلبت معونة الحكومة وتناظرت في الجرائد وحجة القائلين بالنظام المتري انهُ اسهل عَلَى الحسَّاب من النظام الانكليزي فانبرى لهم الفيلسوف هربرت سبنسر وكتب مقالة مسهبة في هٰذَا الموضوع ابان فيها ان النظام المتري مخالف لما اعتادهُ الناس في كل زمان ومكان ولذلك لم يشع حتى في

بلاد فرنسا نفسها ألَّتي وضعتهُ واجبرت الناس عَلَى استعمالهِ . ووجه مخالفتهِ لما اعتادهُ الناس هو ان المقيسات والموزونات والمكيلات المستعملة في كل البلدان اساسها العدد ١٢ او ٢٤ لكي يمكن ان تقسم على ٢ و٣ و٤ بغير باقٍ اي حتى يؤخذ نصفها وثلثها وربعها. فالرطل لهُ نصف وثلث وربع والذراع لها نصف وثلث وربع والكيل او الاردب لهُ نصف وثلث وربع واما المقيسات الفرنسوية فلها نصف ولكن ليس لها ثلث وقد لا يكون لها ربع ولذلك يعسر عَلَى الناس التعامل بها . فما يراهُ الحسَّاب من السهولة في الحساب يرى الجمهور اضعاف اضعافهِ من الصعوبة في المعاملات

وقد نشأ النظام المتري في فرنسا منذ اكثر من مئة عام واضطرَّت الحكومة الشعبَ إِلَى استعمالهِ بالقوَّة لكن الشعب لم يزل يستعمل النظام القديم ولو على قلة . والبلدان ألَّتي اقتفت خطوات فرنسا في استعمال النظام المتري مثل الولايات المتحدة الاميركيَّة اضطرت ان تهملهُ وتبقى على نظامها القديم في اكثر معاملاتها . فمعلوم ان الريال الاميركي مقسوم الى مئة قسم ولكنَّ تجَّار اميركا يبيعون ويشترون حتى الآن بنصف الريال وربعهِ وثمنهِ وجزء من ١٦ وجزء من ٣٢ منهُ اي انهم تركوا التقسيم العشري واعتمدوا على التقسيم النصفي . ولما كان الريال غير مقسوم كذلك فهم مضطرون ان يتغاضوا عن حقوقهم لكي لا يخرجوا عن التقسيم النصفي فاذا ابتاع احدهم سلعة بثمن ريال ودفع قطعةً مما يساوي ١٥ سنتاً (السنت جزء من مئة من الريال) لم يردَّ لهُ البائع شيئاً واذا دفع قطعةً تساوي ١٠ سنتات اضطرَّ البائع ان يكتفي بها لان الثمن الحقيقي بين هذين الحدين ولا قطعة لهُ . (وذلك كما اذا اشترى عندنا مشترٍ شيئاً بربع غرش فانهُ اما ان يدفع مليمين او ثلاثة ملمات ولا واسطة بينهما وذلك اهتضام للحقوق كما لا يخفى "

ثم قال ان الفرنسويين اعتمدوا على النظام العشري لانهُ هو نظام الارقام الهنديَّة لكن هذا النظام دون النظام الاثني عشري من كل وجه ولو توفق الناس من اول الامر الى اختيار النظام الاثني عشري للعدد بدل النظام العشري وجروا عليهِ في تقسيم المقيسات والمكيلات والموزونات لكان ذلك اصلح واتم من كل وجه. وذهب إِلَى ان الناس سيبطلون النظام العشري يوماً ما ويبدلونهُ بالنظام الاثني عشري ولو حال دون ذلك مصاعب جمة يكاد يكون بها ضرباً من المحال

وخلاصة مقالتهِ انهُ لا يحسن بالانكليز ان يتركوا مقيساتهم ومكيلاتهم وموزوناتهم ويبدلوها بالنظام العشري الفرنسوي وان الحكومة اذا امرت بذلك فالشعب لا يجاريها

اخبار الايام

بدء السنة الهجرية

احتفل في ١٢ يونيو ببدء سنة ١٣١٤ الهجرية فهنأ كبراء مصر الجناب الخديوي وهنأ الجميع بعضهم بعضاً . جعلها الله سنة خير وبركات

النيل

بدأ النيل بالزيادة فزاد ١٤ سنتمترًا في عكاشة من ٩ يونيو الى ١٣ منهُ و ١٠ سنتيمترات في وادي حلفا وقيراطاً في اصوان

واقعة فركة وسواردة

استولت الجنود المصرية على فركة صباح السابع من الشهر وتقدمت الى سواردة واستولت عليها وقد وصفنا ذلك في اوائل هذا الجزء

الكوليرا

زاد انتشار الكوليرا في القطر المصري هذا الشهر بعد ان تقلص ظلها في العاصمة وبلغت وفياتها في الفيوم ٤٧ في يوم واحد وفي كفر الزيات ٤٤ وفي مركز دسوق ٢٩ وقد بلغت وفياتها في القطر المصري كلهِ من اول ظهورها الى آخر يونيو نحو ٥٤٠٠

حادثة الازهر

اصيب احد المجاورين بالكوليرا في رواق الشوام بالازهر الزاهر في غرة الشهر وامر الطبيب ومعاون البوليس ان يخرج الى المستشفى ليعالج فيهِ فأبى رفاقهُ ذلك وقاوموا رجال الحكومة ورجموا محافظ مصر وحكمدار بوليسها فاضطروا ان يطلقوا الرصاص عليهم فاصيب خمسة مات منهم ثلاثة وخمدت الفتنة حالاً . وقد سرَّ الجناب الخديوي ونظار حكومتهِ مما فعلهُ سعادة محافظ العاصمة ووكيلهُ وسعادة الحكمدار فانعم بالنشان العثماني الثاني على سعادة المحافظ "مكافأةً لهُ على خدمتهِ الجليلة في حادثة الازهر واعترافاً بما ابداهُ من الهمة والشهامة" . وعقد مجلس النظار برئاسة الجناب الخديوي في ٤ يونيو فاقرَّ على ابعاد ستين من الطلبة الشوام الذين اشتركوا في فتنة الازهر ومحاكمة ١٢ زعيماً منهم واقفال رواق الشوام سنة كاملة واستحسن عمل رجال الحكومة في اخماد الفتنة بالقوة وقرَّر ايضاً ان عطوفتلو رئيس النظار يبلغ سعادة كولس باشا حكمدار بوليس العاصمة وحضرة البكباشي منسفيلد وكيلهُ رضاء الحكومة الخديوية عن مسلكهما في حادثة الازهر وشكر لهما على ما ابدياهُ من الحزم في اخماد الفتنة وكتب مجلس النظار الى حضرة الشيخ حسونه النواوي شيخ الجامع الازهر يظهر اسفهُ الشديد من هذهِ الحادثة ويقول انهُ كان

يأمل من همتهِ ان يتلافى الامر بالتي هي احسن ولا يدع الاحول تصل الى ما وصلت اليهِ وقد اتفق العقلاء على انهُ لو لم تستعمل الحكومة الحزم في هذهِ الحادثة لثار الناس عليها في كل الاماكن الموبوءة وتعذر عليها اجراء التحوطات الصحيَّة ومقاومة الوباء

فتنة كريت

ثار اهالي كريت وحدثت مناوشات بين الثائرين والجنود العثمانيَّة واشارت الدول الاوربيَّة على الباب العالي ان يعين لهم والياً مسيحيًا وورد في ٢٩ الشهر ان الباب العالي عين جورجي باشا امير ساموس والياً لكريت وانهُ مقتنع ان الفتنة ستخمد حالاً

فتنة حوران

ثار الدروز في حوران وساعدهم العرب وقد جاء في جرائد بيروت ان الثائرين نحو ستة آلاف وقد قتلوا نحو خمس مئة من الجنود العثمانيَّة و بعض الضباط

مظفر الدين شاه

ذكرنا في الجزء الماضي ان جلالة مظفر الدين شاه ايران قام من تبريز قاصدًا طهران في ١٨ مايو وانهُ سيبلغها بعد اسبوعين او ثلاثة لطول الشقة وورد الاخبار انهُ بلغها في ٨ يونيو وجلس على عرش اسلافهِ وألغى ضريبة الخبز واللحم من كل بلاد ايران

القطن الاميركي

وسَّع الاميركيون زراعة القطن هذا العام ١٦ وربع في المئة عمَّا كانت عليهِ في العام الماضي ونمو القطن جيد جدًّا وعدلت حالتهُ ٩٧,٤ حتى ١٠ الماضي وهي اعظم نسبة بلغتها منذ ١٥ سنة

زوبعة اميركا

ثارت زوبعة شديدة في السابع والعشرين من مايو فمرَّت بجانب من مدينة سنت لويس باميركا الشماليَّة فهدمت منهُ خمسة آلاف وخمس مئة بيت في نحو ساعتين من الزمان وقتلت خمس مئة نفس وجرحت نحو خمس مئة واتلفت ما قيمتهُ خمسة ملايين من الجنيهات وفي هذه المدينة ستمئة الف نفس ومساحتها ٦١ ميلاً مربعاً

زلزلة في يابان

جاء من يوكاها في ١٨ يونيو ان ماء المد تعالى اثر زلزلة فخرب مدينة كمسلي شمالي يابان وقتل الف نفس و يقدر عدد الذين غرقوا من سكان السواحل الشماليَّة الشرقيَّة بعشرة آلاف نفس

غرق سفينة

كانت السفينة المسماة درومند كسل آتية من رأس الرجاء الصالح الى انكلترا وعليها ٣٥٠ راكباً فغرقت بهم قرب جزيرة اوسنت عند الطرف الغربي من فرنسا ليلة السادس عشر من يونيو فلم ينجُ ممن فيها سوى ثلاثة

فهرس الجزء السابع من المجلد العشرين